

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦م جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦هـ

الموسوعة العربية الميسرة

مقدمة :

الموسوعة مصطلح عربي حديث لما يسمى بالفرنسية Encyclopédie أي جملة المعارف ، أو الكتاب الذي يتناول أسس جميع العلوم ، أو الذي يتناول جميع أجزاء علم من العلوم ، كقولنا أنسيكلويدية حقوقية أو زراعية وهكذا .

ومن المصطلحات العربية الحديثة لهذه الكلمة الفرنسية « المَعْلَمَة » ، ومنها « دائرة المعارف » . فهذه ثلاثة مصطلحات معروفة لمسمى علمي واحد مشهور . وهذا الأمر دليل من الأدلة الكثيرة على حاجتنا إلى توحيد المصطلحات العلمية ، وهي الحاجة التي طالما بحثنا فيها .

والظاهر أن الشيخ إبراهيم اليازجي كان أول من سمي هذا النوع من المؤلفات بكلمة «موسوعات»، ذاهباً إلى أن طاشكبري زاده استعمل هذه الكلمة في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة». ولكن ما جاء في كتاب طاشكبري المذكور هو كلمة «موضوعات»، أما كلمة «موسوعات» التي رآها اليازجي فهي مصحفة، على ما كان أثبتته أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملي (١).

وكلمة موسوعة التي هي اسم مفعول من وسيع الشيء لا وجه علمي لها، فهي لا تدل على أنها تسع العلوم، وهي حديثة كما قلت لم أرها في معجم قديم ولم أصادفها في كتاب من كتب الأدب القديمة حتى في مثل قولهم موسوعة الأشياء لا العلوم.

أما «المعلّمة» فقد وضعها الأب أنستاس الكرملي. وهي أصلح بكثير من «الموسوعة»، فالمعلّمة على وزن مفعلة، صيغت قياساً من كلمة «علّم» الثلاثية، وهي تدل على المكان الذي تكثر فيه العلوم. ومثل هذا المكان قد يكون أداة أو يكون وعاءً، فالمعلّمة وعاء العلوم. ويجوز كسر ميمها لأن الوعاء ربما يحمل على أنه آلة للحفظ.

وأما اصطلاح «دائرة المعارف» فقد كان المعلم بطرس البستاني أطلقه اسماً لسفّره الجليل الذي يعاد اليوم تأليفه وطبعه في بيروت في حلة جديدة. وكان هذا الاصطلاح اسم علم لذلك المؤلف، ثم صار اسم جنس لكل معجم جامع للعلوم. ولهذا كان الأستاذ محمد فريد وجدي قد سمي معجمه العلمي الموجز «كنز العلوم واللغة»، وسماه بعد أن وسّعه «دائرة معارف القرن العشرين» الميلادي، أو «دائرة معارف القرن الرابع عشر» الهجري. ونرى الذين ترجموا الأنسكلوبيديّة الإسلاميّة قد سموها «دائرة المعارف الإسلاميّة».

(١) من بحث لأحمد تيمور باشا في هذه المجلة (المجلد الثالث سنة ١٩٢٣ ص ٥٦).

والكلمة الفرنسية من أصل يوناني . وهي مؤلفة من ثلاث كلمات بمعنى « في دائرة المعارف » ، فمصطلح « دائرة المعارف » هو إذن أصلح المصطلحات الثلاثة من حيث المعنى ، ولكنه مؤلف من كلمتين . ومن الأصلح أن يكون المصطلح كلمة واحدة تيسيراً للنسبة إليه ، فهل نختار « المعلقة » أم نختار « الموسوعة » ؟ فالأولى لها وجه علمي صحيح كما قلت ، وهي تستعمل في العراق والشام . أما الثانية التي لم أر لها وجهاً علمياً فهي شائعة في مصر خاصة . وقد بدأت تشيع في غيرها . ويكفي لإشاعتها أن تجيء اسماً لمثل المعجم العلمي الذي نتكلم عليه (١) . وقد فتشت في « المعجم الوسيط » عن المصطلحات الثلاثة فلم أجدها . ولا أدري هل أقر بجمع اللغة العربية في القاهرة أحدها ، أم أقر غيرها ، أم لم يقر للكلمة الفرنسية مصطلحاً عربياً ما حتى الآن وهو ما أظنه .

ما هي « الموسوعة العربية الميسرة » ؟

للولايات المتحدة الأمريكية ، في البلاد العربية ، خطة سياسية ترمي إلى بث ثقافتها بالانفاق على ترجمة كتب أميركية إلى لساننا . وقد ترجمت حتى الآن كتب كثيرة مفيدة . وآخر ما اطلعنا عليه منها هذه المعلقة التي نشرت في سنة ١٩٦٥ .

وأداة النشر هي « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » ، فهي التي أنفقت على إنجاز قسم من المشروع ، كما أنفقت « مؤسسة فورد » الأميركية على

(١) صدر في سنة ١٩٦٥ م في بيروت معجم سمي « الموسوعة في علوم الطبيعة » . وصدر في بيروت أيضاً معجمان أحدهما سمي « المرجع » ، والثاني « الرائد » ، ولعلنا نتسكن من إبداء رأينا فيها .

إنجاز قسمه الأكبر . وقد اتخذت معلة أميركية أساساً للعمل ، وهي « موسوعة كوليبيا فاينكنج دسك » ذات المجلد الواحد .
ومن الطبيعي القول بأن فائدة الأميركيين في مثل إصدار هذه الموسوعة بالعربية إنما هو تعريفنا برجالاتهم من علماء وسياسيين ، وتعريفنا بتاريخ بلادهم وجغرافيتها وغير ذلك ، ونحن لا ننكر الاطلاع على ثقافة الشعوب الأجنبية أياً كانت بشرط أن لا يؤثر ذلك تأثيراً مضرأ في ثقافتنا العربية .
أما فائدتنا من مثل هذه الموسوعة فهي أنها تطلعنا على مجمل معارف عصرية مختلفة ، عدا أنها تتيح لنا أن نضم إليها الكثير من معارف بلادنا العربية في القديم والحديث .

فمنذ بضع سنوات تألف في القاهرة مجلس سمي مجلس المديرين مهمته إصدار هذه الموسوعة مستعيناً بعدد من الخبراء الاختصاصيين بمختلف العلوم . وكان زميلنا في مجمع القاهرة المرحوم محمد شفيق غربال رئيس هذا المجلس . وفيه سبعة عشر عضواً ، معظمهم مصريون ، وكلهم من العلماء والأدباء المعروفين بسعة معارفهم . أما الخبراء فعددهم يقارب المائة . ومعظمهم مصريون أيضاً . وكل منهم اختصاصي بمادته العلمية .

صدرت الموسوعة سنة ١٩٦٥ م ، وقامت على أساس اطراح التفصيلات التي لاتهمنا في الموسوعة الميسرة الأميركية المامع إليها ، وعلى إضافة ماله صلة بنا من المعلومات في العلوم المختلفة ، فجاءت المعلة في مجلد واحد ضخم يشتمل على ألني صفحة كبيرة ونيف .

ومن الطبيعي أن لا يجيء هذا العمل الشاق خالياً من الأغلاط والهفوات والنواقص والزوائد ، وهذا ما أدركه القائمون عليه فقالوا في المقدمة :
« إنها (أي الموسوعة) تطمع في أن تتلقى عشرات بل مئات من الملاحظات

والنقد الأمين المخلص الذي يتطلع إلى الكمال ، لا الذي يتلمس النقص أو يتصيد . إنها ترجو أن تكون هذه الطبعة المحدودة العدد بمثابة التجربة الأخيرة من تجارب المطبعة ، تعرض على القراء ليشاركوا بدورهم في أن تكون طبعتها المقبلة أقرب إلى الكمال .

وفي آخر المقدمة قالوا : « وكلنا أمل في أن تكون هذه الموسوعة العربية الميسرة مجرد البداية الطيبة المتواضعة في سبيل الموسوعة العربية الكبرى التي نأمل ألا تطول أعوام انتظارها . »

إن كلاماً مهذباً كهذا الكلام يقوله واضعو المقدمة قد حداني على تقليب صفحات من الموسوعة وإبداء ملاحظات موجزة جداً على ما استوقف نظري فيها .

ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة :

- ١ - جميع مواد الموسوعة غير مشكلة . وهذا نقص كبير أرى ضرورة تلافيه كلياً أو جزئياً ، ولا سيما في أسماء الأعلام الأجنبية وأسماء الأعيان المعربة .
- ٢ - من الضروري في نظري أن تكتب بحروف لاتينية أسماء الأعلام الأجنبية كأسماء الأشخاص وأسماء البلاد والمدن والمواقع الجغرافية ، وكذلك الأسماء العلمية للنبات والحيوان ، فقد جاءت كلها بحروف عربية غير مشكلة ، ولم تذكر بحروف لاتينية ، ولهذا أسمى من الصعب جداً معرفة صحة عدد كبير من تلك الأسماء . ولنضرب كلمة مُفغاث مثلاً فالغاث معروف في مصر . وجاء اسمه في الموسوعة بالثناء ، والصحيح بالثناء . ثم جاء اسمه العلمي هكذا « جلوسستيمون بروجيوري » فهل يستطيع غير العارف بهذا الاسم أن يحزر ماهي صحته ؟ وهو بالحروف اللاتينية Glossostemon Bruguieri . ولنذكر أيضاً الخيار مثلاً ، فقد ذكروا أن اسمه العلمي « كيوكيوميس ساتيشس » ،

والصحيح « كوكوميس ساتيفوس » لأن الاسم العلمي ليس انكليزياً ، وهو بالحروف اللاتينية Cucumis sativus . ومثل ذلك كثير .

٣ — خبراء الموسوعة بالعلوم الزراعية المختلفة متفاوتون في معرفة مصطلحاتها العربية ، فمنهم من استعملوا مصطلحات صحيحة أو راجحة ، ومنهم من خبطوا في المصطلحات خبط عشواء ، فتراهم يستعملون كلمات عامية بدلاً من الكلمات الصحيحة كقولهم مثلاً السنامكي والجبهان والكرأوية والحمام الزاجل والصحيح السنا المكي وحب الهال والكرويا وحمام الزاجل . وفي مادة دفيئة قالوا الخضروات والصحيح الخضراوات . وفي مادة خرنوب ولوبياء قالوا إنهما من الفصيلة البقلية والصحيح من الفصيلة القرنية . وفي مادة الكراث المصري قالوا إنه من العائلة الزنبقية ، والصحيح من الفصيلة الزنبقية . وفي مادتي الفول والفول الرومي ذكروا أن الأول من الفصيلة القرنية والثاني من الفصيلة البقلية ! وجملاهما نوعاً واحداً هو فيسيفابا Vicia faba . وفي مادة « سرايفو ، جامعة » قالوا الأحراش ، والصحيح الأحرار . وفي مادة نفاع قالوا الزعتر والصحيح السمتر والصعتر . وفي مواد أخرى استعملوا كلمات المتك والمتاع والحسلة ، والصحيح المثبر والوزيم (أو المدقة) والنووية . وأطلقوا « عيش الغراب » على جميع الفطور السامة والتي تؤكل . والذي نعرفه أن هذا الاسم العامي في مصر يطلق خاصة على الغاريقون الزراعي الذي يؤكل ، ولا يجوز استعماله بمعنى الفطر عامة .

ولم يتحروا في معجم الألفاظ الزراعية أو في غيره الأسماء العربية لبعض الفصائل النباتية بل ارتاحوا إلى سهولة التعريب . فالفستق عندهم من الفصيلة الأنقردية ، والصحيح الفصيلة البطمية ، والقلقاس من الفصيلة الأراسية ، والصحيح الفصيلة القلقاسية (أو اللوفية) . وأذن الحمار من الفصيلة البوراجينية ، والصحيح الحنجيمية وهكذا . ولا يجوز الاكتفاء بالأسماء العربية .

ولم يُذكر نوع الضأن ، بل قالوا الغنم ، ولا نوع الخيل ، بل قالوا الحصان . وسواء في هذا النوع من الحيوان أو ذاك جعلوا سلاطاتها أنواعاً ! الخ . الخ .

والخلاصة أن مواد العلوم الزراعية ولا سيما مواد النباتات الزراعية جاءت كثيرة الأغلاط ، فلعل القارئ على الموسوعة يختارون للطبعة القادمة بضعة علماء زراعيين قادرين على تمييز الصالح من المصطلحات ، (وكذلك في سائر العلوم) فالموسوعة لم تصنف للعامة بل للمثقفين ، ولغتها يجب أن ترفع لغة العامة لأن تهبط إليها ، ومن المؤسف أن هذه الحقيقة لا يراعيها كثير من المؤلفين بالعلوم الزراعية في البلاد العربية .

٤ - من الأمور الصعبة التي يجب الانتباه إليها تحديد الأعلام الجغرافية التي يفيد نقلها من الموسوعة الأمريكية إلى الموسوعة العربية ، وتحديد الأعلام الجغرافية العربية التي يفيد إضافتها إلى هذه الموسوعة العربية . فقد لاحظت مثلاً أنهم ذكروا نهر كوكا في أمريكا الشمالية ، ولم يذكروا نهر الخابور في سورية . وذكروا في مادة « ربوة » أنها تل في الولايات المتحدة ، ولم يذكروا ربوة دمشق حتى ولا غوطتها الشهيرة . وذكروا من المدن الصغيرة التي لا شأن لها بلدة شالون سورسون في فرنسا ، وبلدة أسكي شهر في تركيا (وقد عرققتها) ، ولم يذكروا في سورية بلدة درعا ولا بلدة الحسكة وكل منها مركز محافظة . ومثل ذلك كثير (١) .

٥ - لم يتبعوا في بعض شؤون المصطلحات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

(١) للأستاذ الشيخ حمد الجاسر أحد أعضاء مجلتي المراسلين مقال ثمين عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » نُشر في عدد الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ والثامن من ابريل « نيسان » سنة ١٩٦٦ من صحيفة « المدينة » التي تصدر في جدة ، ولا بد أن يكون القارئون على الموسوعة قد اطلعوا على ذلك المقال .

فمن جملة تلك القرارات مثلاً : « لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد الثلاثة ، ولا حاجة إليها » . وعلى الرغم من ذلك نجد في الموسوعة مثل قولهم : « بَطْنُ قَدَمَيْتَاتٍ » و « رأس قدميات » بدلاً من « بطنيات الأقدام » ، و « رأسيات الأقدام » . ومثل هذه الرطانات التي اقتبسوها غير قليل .

٦ - الشؤون التاريخية والجغرافية والقومية في كل قطر عربي لا يجوز أن يكتب فيها إلا علماء اختصاصيون من ذلك القطر ، ومن الشهود لهم بالمعرفة والتدقيق ، وإن يكن عددهم صغيراً ، ولو راعى القائمون على الموسوعة ذلك لما قالوا في مادة « الاستقلال العربي ، حزب » :

« قامت في سورية الكتلة الوطنية (١٩٢٨ - ١٩٤٨) برئاسة خالد المظم ! ولما كتبوا ما كتبوه من الخلط في مادة « حوران » كقولهم إن غالبية سكانها من الدروز ، وقولهم : « سادها الدروز اليمينيون وبنو حمدان وآل الأطرش » فتأمل ! .

٧ - رمزوا في الأعلام الأعجمية إلى الحرف اللاتيني (g) والحرف اليوناني (γ) بالحرف العربي (ج) . ورمزوا إلى الحرف (z و dz) بحرف جديد أوجد في مصر حديثاً ، وكاد يشيع فيها ، ثم أخذ استعماله يقل ، وهو الحرف (چ) بثلاث نقط قترى في الموسوعة مثلاً :

جورچ أبيض بدلاً من جورج أبيض ، وجنيف بدلاً من جنيف . وعلى العكس من ذلك مثل « جاربو ، جريتتا » ، ومثل جازولين ، وجلاسجو ، وجلينرين وأمثال ذلك من الرمز إلى الحرف الأعجمي (g) بالحرف العربي (ج) . وسبب ذلك معروف وهو أن سكان القاهرة والوجه البحري ينطقون بحرف الجيم العربي غير معطش أي مثل الحرف (g) ، على حين أن سكان الصعيد في مصر وثمانية أعشار البلاد العربية الأخرى على الأقل تنطق به

معطشاً أو مخففاً (أي مثل زه أو ز بالفرنسية) ، وهذا هو النطق الصحيح به في القرآن الكريم أيضاً . ولذلك لا يجوز في تعريب الأعلام الأعجمية أن ينقل الحرف (g) اللاتيني والحرف (γ) اليوناني إلا بأحد حرفين : إما بالين كما فعل علماءنا القدماء جميعاً ، وكما فعل اليوم في سورية ولبنان وغيرها ، وإما بحرف جديد نضعه لهما وأصلحه في نظري حرف الكاف له خطان مترضان بدلاً من خط واحد (گ) ، وهو المستعمل بالفارسية والأردو والتركية التي تكتب بحروف عربية . وقد قلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص ١٧٣) : « أما اعتبار الحرف العربي (ج) رمزاً للحرف اللاتيني (g) في المعرّبات فهو غير صحيح ، ومن الغلط أيضاً وضع ثلاث نقط في وسط الحرف (چ) وعده جيماً معطشة في مثل كتابة جيولوجية التي زاما أحياناً في القاهرة ، فان معنى ذلك عند سكان الصعيد وسكان سائر الأقطار العربية أن الجيم الشجرية أو المعطشة في القرآن وفي المؤلفات العربية قد أصبح لها حرف جديد هو الحرف (چ) بثلاث نقط . وبعد يؤمل أن ينتبه مديرو الموسوعة إلى هذا الموضوع الهام (١) .

٨ - لا أدري لماذا جعلت الموسوعة في مجلد واحد مع العلم بأنها تتألف من ألني صفحة رقيقة ونيف . فالمجلد الواحد نقله صعب ، وهو ثقيل الحمل على أمثالي من الشيوخ ، وما الحكمة في عدم جعل هذا المصنف مؤلفاً من جزأين أو من ثلاثة أجزاء مثلاً ؟

٩ - الأغلط المطبعية كثيرة ولا سيما في الأسماء العلمية العربية للنباتات والحيوانات . ثم إنني قلبت صفحات خمس نسخ من مجلدات الموسوعة فوجدت في

(١) انظر موضوع الحرف اللاتيني (g) في الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٧٢ - ١٧٤)

ثلاث منها صفحات أيضاً لم تُطبع ، ومع ذلك أدخلت تلك الصفحات في النسخ المذكورة فجاءت ناقصة .

١٠ - لم تذكر بعض المواد في مواضعها ، ففي مادة « الشهابي » مثلاً ذكروا أربعة أشخاص من أسرتنا هذه ، ولكنهم ذكروا غيرهم في مواد أخرى كالرئيس فؤاد شهاب فقد ذكروه في مادة فؤاد ، وكحيدر الشهابي فقد جاء ذكره في مادة حيدر .

وقد لاحظ الأستاذ حمد الجاسر في مقاله الذي أشرت إليه ملاحظات أخرى من هذا القبيل ، فمن الضروري الانتباه إلى مثل ذلك .

الخلاصة : — هذه أهم ملاحظاتي على « الموسوعة العربية الميسرة » ، وعندى ملاحظات أخرى لم يتسع الوقت لإبدائها . وهناك رأي قديم لي نشرته منذ عدة سنين وهو أن تصنيف معجم إفرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي للمصطلحات العلمية يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة العربية ، وذلك لكي لا تجميء هذه الموسوعة مملوءة بمصطلحات عربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة (١) .

وبعد إن العلة التي تكلم عليها مفيدة في جملتها ، على الرغم مما اشتملت عليه من أغلاط وشوائب . وعمل كبير كهذا العمل لا يمكن أن يجيء في بادئ الأمر أي في أول طبعة خالياً من الهنات . ولنا ثقة بأن العلماء الذين يتولونه سيحرصون كل الحرص على أن تجيء الطبعة الثانية أصلح من الطبعة الأولى .

مصطفى الشهابي



(١) أنظر الطبعة الثانية من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٤٧) .

لكل عصر لغة

إذا لم يكن تحوّل اللغة على اختلاف العصور أعظم خصائصها فإن هذا التحوّل ، ولا ريب في ذلك ، أوضح هذه الخصائص ، فلا نكاد نمرّ بعصرٍ من العصور إلاّ وجدنا لكل عصرٍ لغةً خاصّةً وأساليب خاصّةً ، فقد تشيع في زمنٍ ألفاظٌ ثم تبطل هذه الألفاظ في زمنٍ آخر ، وقد تستفيض فيه أساليبٌ ثم لا نجد لهذه الأساليب أثرًا بعده ، وقد يكون تحوّل اللغة في بعض الأحيان آيةً من آيات قوتها وحياتها ، فاللغة الجامدة التي لا تستجيب لبعض الحاجات قد يقلّ صلاحها للحياة على تراخي الأحقاب ، ففي كل عصرٍ تولد أشياء وتموت أشياء ، ولا بدّ لهذه الأشياء التي تولد من ألفاظٍ تعبّر عنها ، فالإسلام حوّل ألفاظاً في أوّل عهده عن وجهٍ إلى وجهٍ ، والنحو استعمل ألفاظاً على غير المألوف من معانيها ، وما يقال في الإسلام والنحو يقال في العلم والفلسفة والأخلاق والاجتماع وما شابه ذلك ، ففي هذه الآفاق نجد ألفاظاً ومصطلحات لم يكن لها من قبل المعنى الذي أراده واضعوها .

الخلاصة إن لكل عصرٍ لغةً خاصّةً ، فقد تعيش طائفة من مفرداتها فيه ثم تموت في عصرٍ آخر ، إني لا أحتاج إلى الإكثار من الشواهد في هذا الباب ، فكل واحدٍ منّا قد مرّ في خلال مطالعته بقليلٍ أو كثيرٍ من هذه الشواهد ، وإذا كان لا بدّ من الاستشهاد فاني أقتصر على اليسير منه . كنت أطلع معجم الأدباء فوجدت في أخبار أسعد بن المهذب المصنّف هذه العبارة : « فلمّا رأوا أنني لا وجه لي قيل لي : تحيّل ونجّم هذا المال

عليك في نجوم ... » . لست أخجل من الاعتراف بأني لم أفهم معنى نجم ونجوم في هذا المقام ، ولما رجعت إلى القاموس المحيط علمت أن نجم المال ، مخففة ، ونجمه ، مشددة ، أدناه نجوماً ، والنجوم جمع نجم ومعناه الوقت المضروب ، فمن الذي يستعمل في عصرنا هذا نجم على النحو الذي استعملت عليه في القرنين السادس والسابع ، أو في القرون السابقة ؟ فنحن نقول في يومنا إذا ركب أحدنا دين ولم يستطع دفعه مرّة واحدة : قسّطه ، بدلاً من نجمه ، ونقول : الأقساط بدلاً من النجوم ، فالنجم بمعناها الأول قد خفيت في عالم الاقتصاد والمال ، وهي لا تعيش إلاّ في عالم معروف ، فالنجم هو الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، أو الذي يستخرج من هذا النظر التخرّص والأحاديث الملتقّة التي أشار إليها أبو تمام في قصيدته الخالدة :

أبن الرواية ، بل أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفّقة ليست بنبع إذا مُعدّت ولا غرَب

من هذا كله يتبيّن لنا أن التنجيم بمعنى التقسيط قد عاشت في عصرٍ من العصور ثم بطل استعمالها في عصرٍ آخر . ولست أُلجأ إلاّ إلى مثل آخر في هذا الباب ، ففي أخبار الممّاتي الموماً إليه وقع نظري على هذه العبارة : « وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً ، فقيراً ، ممجّجاً في البلاد » . لقد أصابني في فهم الممجّج ما أصابني في فهم نجم ، ولما استعنت بالقاموس المحيط وجدت أن قولهم : أمجّ زيد معناه : ذهب في البلاد . وقد ورد في معجم الأدباء مجّج بدلاً من أمجّ . وسواءً أكانت هذه المادّة أمجّ أم كانت مجّج إن معناها القديم : ذهب في البلاد ، مُسرّداً ، ولم تبق لهذه المادّة حياة في عصرنا ، وما أكثر الشواهد في هذا الباب .

إلا أن هذه المواد التي شاعت في حِقْبَة من الحقب ، ثم بطل استعمالها على مرِّ الأحقاب قد نستطيع أن نرى لأكثرها تفسيراً في معجمات اللغة ، مثل تفسير نَجْمٍ وأمَجٍّ وغيرها ، أمّا المصيبة في عصرنا فأننا نمرّ بتعايير لا نفهمها ونحن نعيش مع أصحابها ، ولست أبالغ في قولي إذا قلت إن أكثر هذه التعابير المستحدثة إذا وقفت عليها فإني أسأل عن معانيها فريقاً من أصدقائي الذين يتصلون بالحياة العامة وبطالعة صحف هذا العهد أكثر مني ، وما أكثر هذه التعابير وما أكثر الذين لا يفهمون معانيها . رجعت وأنا أكتب هذا المقال إلى دفترتي الذي أدوّن فيه لغة هذا العصر فوجدت في جملتها قولهم : محاولاً مسح الماء عن وجه الزعيم الروديسي ... وقد استعملت هذه الجملة على الحجاز ولم تستعمل على الحقيقة ، ولو استعملت على الحقيقة لما أشكل عليّ معناها ، إلا أن استعمالها على الحجاز قد غمّض معناها ، فإذا كنت أعيش في العصر الذي شاع فيه هذا التعبير ولم أفهم معناه فما قولنا في العصور الآتية ، كيف يستطيعون أن يفهموا بعد خمسين سنة أو مائة سنة أو أكثر معاني ما يستحدث من التراكيب ، ولا نرى معجماً من معجمات العصر يشرح معاني هذه التراكيب ، فما هي نتيجة هذا كله ؟ إن العصور الآتية يتعدّر عليها فهم طائفة من لغة الحاضر ، فإذا كان تحوّل اللغة على مرِّ الأحقاب قد يدلّ في بعض الأحيان على قوة هذه اللغة وحياتها فإن هذا التحوّل إذا أفرطوا فيه واشتطّوا قد يؤدي إلى غموض اللغة بحيث يدقّ على الأذهان فهم أكثرها .

وإذا كان لكل عصرٍ لغة تتحوّل من زمنٍ إلى زمنٍ أفلا نجد للعصور كلها لغة تكاد تكون ثابتة ؟ أفلا نجد أن اللغة السهلة ، البسيطة ، هي لغة العصور كلها ، الخالدة على وجه الدهر ، ولا أدلّ على هذا الخلود من بقايا الفصح التي لا تزال تعيش في أيامنا على أفواه الممّة وقد مرّ عليها

ألف سنة أو أكثر . فإذا كنت مولماً بهذه البقايا ، حريصاً على التقاطها وجمعها ، فالسبب في هذا الومع وهذا الحرص سهولتها وبساطتها من جهة ، ثم دلالتها على أمورٍ كثيرة من أمور العمران والاجتماع وغير ذلك . فمن هذه البقايا قولنا في لغتنا العامية : رجع لونه ، نجد في أخبار إسحاق ابن إبراهيم الموصلي في معجم الأدباء أنه وقع بينه وبين إبراهيم بن المهدي شيء من التشتام ، وقد استخف كل واحدٍ بالآخر ، فرفع الأمر إلى الرشيد وقال له إبراهيم بن المهدي : يا أمير المؤمنين ! شتمني وذكر أمي ، واستخف بي ، فغضب الرشيد ، وسأل خادميه عن القصة وكانا حاضرين ، فجملاً يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهى إلى ذكر الخلافة ، وقد كان الموصلي قال لإبراهيم بن المهدي : أرجو ألا يخرجها الله تعالى ، أي الخلافة ، عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ، فلما انتهى الخادمان إلى هذا القول سرّني عن الرشيد ورجع لونه ...

إن مثل هذا التعبير ، رجع لونه ، شائع في لغتنا العامية ، فهو حي ، قوي ، لم يذهب من حياته وقوته شيء على طول السنين ؛ فكثيراً ما بساور أحدنا بمض الغضب أو بعض الخوف وما مائل ذلك فيربد وجهه ويصفر ، ثم يهدأ صاحب هذا الوجه وتدخل الطمأنينة عليه فنقول : رجع لونه ، فهذا التصير من التعابير الثابتة في كل زمن ، لم يتحول معناه عن وجهه إلى وجه ، وهو سهل ، بسيط ليس في استعماله انحدار عن أفق البلاغة ، إن رأس البلاغة إنما هو البساطة ، فالذين يميلون في عصرنا إلى تراكيب معقدة ، لا تفهم معانيها ، إنما يعدون عن البلاغة ، وبهم كلامهم فلا يفهمه من يأتي بعدهم في مستقبل الأيام ، فإذا كان لبقايا الفصاح مزية فإن من بعض مزاياها السهولة والبساطة .

ومن هذا القبيل قولنا اليوم في عاميتنا : طار نومه ... فقد جاء في ترجمة الوزير صاحب في معجم الأدباء كلام لأبي حيّان على صاحب ، فقد قصّ أبو حيّان قصة طريفة لا سبيل إلى تلخيصها ، وردت فيها هذه العبارة : « فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى وصل ودخل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عبّاد ذلك ، فطار نومه وقال : أي شيطان هبط علينا » . فقد عاشت جملة أبي حيّان : طار نومه ، حتى يومنا هذا ، أفيستطيع أحدنا أن يقول في مثل هذه الحالة التي يغلب فيها علينا القلق أو الاضطراب ولم يَم في الليل أبلغ من هذا القول : طار نومي . على أن لبقايا الفصح وجهاً آخر غير السهولة وغير البساطة ، فقد نجد في بعضها ما يصوّر لنا ناحية من نواحي العمران والاجتماع وغير ذلك ؛ إني لا أستعين الآن على توضيح هذه الفكرة إلاّ بثلاث موادّ : برّاني ، جوّاني ، طرّاحة .

كنت أطالع قبل كتابة هذا المقال كتاب معجم الأدباء ، فوقع إليّ في ترجمة الممتّاه باسمه ياقوت : نوادره الحادّة ، قال :

« وكان له نوادر حسنة ، حادّة ، منها ما حدثني به صاحب القاضي الأكرم ، قال : ركبنا وخرجنا يوماً نسير بظاهر حلب ، فكان خروجنا من أحد أبوابها ، ودرنا سور البلد جميعه ، ثم دخلنا من ذلك الباب ، فقال : اليوم تسيّرنا تدليك ، قلت : كيف ، قال : من برّاء ، برّاء ... » . إني لا ألتفت إلى هذه النادرة مقدار التفاتي إلى هذه اللفظة : برّاء ، برّاء ؛ إبتا تقول اليوم في لغتنا العامّة : برّاء ، أي أخرج ، وقد جاء في القاموس المحيط : من أصلح جوّانيه أصلح الله برّانيه ، وتوسّع الشارح في حاشيته في شرح هذه الجملة واستند إلى من فسّرها على هذا الوجه : من أصلح

سريرته أصلح الله علانيته ، أخذ من الجوّ والبرّ ، فالجوّ كل باطن غامض ، والبرّ المتن الظاهر . وسواءً أكان هذا الكلام من كلام المؤيدين أم كان من كلام فصحاء العرب في البادية إني لا أدخل في هذا الاختلاف ، فالذي يهمني إنما هو لفظ : برّاني ولفظ : جوّاني ، وقد عاش هذا اللفظ في عصرنا ، فالبرّاني في لغتنا العامّة معناه : الخارج ، والجوّاني معناه : الداخل ، فنقول : الجرح برّاني ، أي في ظاهر جسم الإنسان ، والجرح جوّاني ، أي في باطن جسمه ؛ وفي دمشق حارة يسمونها : البحصّة البرّانية والبحصّة الجوّانية ، إلاّ أنّنا نلفظ الجوّانية بضم الجيم ، وهي بالفتح ، وبعض دور دمشق القديمة التي كان يملكها طبقة من الوجوه والأغنياء تحتوي على برّاني وجوّاني ، فالبرّاني يستقبل فيه صاحب الدار ضيوفه من الرجال في الصباح أو المساء ، وهو ينفصل عن الجوّاني الذي تقيم به النساء ، فهذا البرّاني يدلّنا على نمطٍ من عيشة طائفة من الموسرين والوجوه في دمشق قبل خمسين سنة أو أقل أو أكثر ، فقد كانوا يجلسون فيه ، فيتحدّثون ويسمرون بدلاً من جلوسهم في المقاهي أو المجالس العامّة ؛ أمّا في العمران الحديث فقد بطل هذا البرّاني ، فالدور كلها تشتمل على قسم واحدٍ لا غير ، فيه بهو للضيوف غير منفصل عن أصل الدار .

هذا ما يتعلّق بالبرّاني والجوّاني ، أمّا اللفظة الثالثة فهي : الطرّاحة ، فقد جاء لياقوت في ترجمة إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق المروزي ما يلي : فلما وقف عليه نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحة ، فأعظمت ذلك وخدمته وورود الطرّاحة في هذه الجملة يدلّ الإجلال عليها على نوع من التكريم ، لم أجد في القاموس المحيط ذكراً للطرّاحة ، والذي نعلمه أن الطرّاحة

إنما هي نوع من فرش البيت ، تبسط على الأرض للجلوس عليها ، وقد تكون مربعة أو مستديرة أو مستطيلة ، يحشونها بالقطن أو بالصوف ، يجلسون عليها في حالة التبذل ، لما في الجلوس عليها من راحة ، وقد كتبنا في دمشق نستعملها في دورنا القديمة ، في الصيف نضعها في المساء في صحن الدار ونجلس عليها ، وفي الشتاء نضعها بالقرب من المدافئ التي تتحلق حولها فنجلس عليها أو قد نسند ظهورنا إلى مخدات على الحيطان ، فالطراحة كانت تدخل في أصل فرش الدار ، أمّا اليوم في العمران الحديث فأكثر الجلوس يكول على الكرسي ، أو على ما يسمونه : الديوان أو الكنباية ، فليس في الدور الحديثة صحن دار يجلسون فيها في الصيف على الطراحات ، وقد تشتمل بعض هذه الدور على غرفة يسمونها : غرفة القمود ، وقد توضع الطراحة في هذه الغرفة .

★ ★ ★

أفرائنا كيف ان طائفة من بقايا الفصح التي تعيش على أفواهننا في عصرنا هذا تفصح لنا في بعض الأحيان عن نمطٍ من أنماط العمران أو الحياة الاجتماعية وأشباه هذه الأمور ؟ فإذا شئت أن أختم هذا المقال فلست أختمه إلاّ بما يلي : إذا كان لكل عصر لغة خاصة ، وأساليب خاصة قد يذهب بعضها بذهاب العصر الذي ظهرت فيه فان اللغة التي تصلح لكل العصور إنما هي اللغة السهلة ، البسيطة ، مثل قولنا : رجع لونه ، وطار نومه ، ونظير هذه الطبقة من بقايا الفصح .

شفيق جبيري

م (٢)



أدب الفقهاء

- ٨ -

الأخلاق والآداب :

وشعر الأخلاق والآداب أو الوصايا والحكم في أدب الفقهاء ينبوع ثرّ ، ومعدن غني بالأعلاق النفيسة والجواهر الكريمة ، إذ كانوا هم مصدر الآداب ومُعمّدي قواعد الأخلاق ، ما بين شرعية وسياسية . فالمتشرعون منهم يستمدون من الأصوليين العظميين الذين اشتملا على أحسن الهدى ، وهما الكتاب والسنة . والمتفلسفون يأخذون خير ما عند أصحاب التعاليم وعلماء الأخلاق ، مما يتوافق ومبادئ الدين الحنيف الذي يقول رسوله الأكرم ، صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وبذلك يكون الشعر الصادر من الفقهاء في هذا الباب من أمثل هذا الشعر من حيث المضمون ، لاحتوائه على زبدة ما جاءت به الشريعة وأيدته الحكمة من قواعد السلوك ومعاملة الناس بعضهم لبعض ، وأما من حيث الشكل فهو على ما سنرى وما رأيناه في غيره ، مُحسنَ بناء وإحكامَ صنعة .

ولعل خير ما تؤيد به قولنا هذا هو شعر الفخر الذي قاله فقهاؤنا رحمهم الله ، فهو يسير على وتيرة غير التي يسير عليها نثر الشعراء الذي يستحيل في بعض الأحيان إلى بهلوانية أدعى ما تكون إلى السخرية منها إلى الإعجاب ، وذلك بما يتضمنه من الادعاء الفارغ والتطاول الذي لا حد له ، في حين أن نثر العلماء ينحو منحى تهديبياً ويمثل الاعتزاز بالعلم والهمة العالية

- ٥٨٦ -

والخلق الكريم ، ولذلك أدخلناه في الشعر الحكيم ولم نجعله باباً مستقلاً كما هو في شعر الشعراء غير الفقهاء .

ولنستمع إلى ما يقوله الإمام الشافعي في هذا الصدد :

عليّ ثياب لو يُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثر
وفهن نفس لو يقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبر
وما ضربنصل السيف اخلاق غمده إذا كان عضباً حيث وجهته فرا

فهو يفخر بنفسه ويعتز بها ويقارنها بنفوس من يرى من البشر المتنافسين في الدنيا المتهاكين على الأطماع ، فترجع بها وتسمو عليها ، لأنها ليست من بابتها ولا من وادها ، إذ بينا هذه مطلبها الكمال وتطلّعها إلى معالي الأمور ، إذا بتلك إنما تستهويها المادة وليس لها مطلب غير الدينار والدرهم اللذين توصل بها إلى قضاء مآربها الوضيعة ، والظهور بمظاهر العظمة الكاذبة من لباس فاخر وزينة متناهية ، لم يكن للشافعي رحمه الله منها إلاّ ثياب بسيطة تُراد للستر لا للباهاة بحيث لو عرضت لبيع في السوق لما تجاوز ضومّها الفلس الواحد من بخس ثمنها ووكس قيمتها . ولكن متى كانت قيمة الشافعي وأمثاله فيما يلبسون أو يأكلون أو يسكنون ؟ وأين هم الآن أولئك الذين عايشوه من أهل الثراء الواسع ، والمآكل والملابس ، والدور والقصور ، والخدم والحشم ، والرياش والأثاث ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

إنها ملايين النفوس وأعداد الدرّ من الناس ، لا نعرف لهم اسماً ولا نقف منهم على أثر ؛ تمتعوا بزينة الحياة الدنيا وكانت هي غاية مرادهم ، فذهبوا ولم يتحدث عنهم رائح ولا غاد ؛ والشافعي في ثيابه الرخيصة ونفسه الغالية ، ما يزال على مر العصور وتماقب الأجيال ، خالد الذكر ، عالي القدر ، ملء سمع الدنيا وبصرها .

فإذا نخر يقترن بالتوجيه ، ويوحى بمعان من السمو والمعظمة لا يعرفها إلا أهل العلم ، ولذلك جعلناه من أمثلة شعر الأخلاق والآداب .
ومن شعرهم السائر الذي بلغ الغاية في الاعتزاز بالعلم وترفع حملته عن الابتذال ، قول القاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتني وخصومه :

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى	ولكن نفس الحر تحمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا طمع صيرته لي مسلماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدم ما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة	إذن فاتباع الجهل قد كان أحرماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظيماً
ولكن أهانوه فهانوا وددتسوا	حياه بالأطاع حتى تجبها

تمثل هذه الأبيات قيمة شعر الفخر في أدب الفقهاء سواء من حيث المعنى أو الأسلوب ، فهي تعبر بأحسن عبارة عن أعمق المشاعر التي يحس بها من أكرمهم الله بالعلم فأغناهم عن كل مطلب سواه ، وصاروا بحيث لا يفرهم المال ولا يفرهم المنصب ، لأن الأجواء التي يخلقون فيها تكشف لهم عن عوالم في منتهى الروعة والجمال ، تملأ نفوسهم غبطة وسرورا ، وتغمر قلوبهم رضاً وطمانينة ، فما المال وما المنصب بازاء السعادة التي يجدونها في الانقطاع إلى العلم وحياته الهنية ؟

والناس يرون عزوفهم عن تجمعاتهم الالهية ، وعدم خوضهم فيما يخوض فيه غيرهم من الأباطيل ، فيصفونهم بالانقباض والشذوذ ، والحال أن وقار العلماء يمنعهم من النزول إلى حضيض الابتذال ، فإذا كان غيرهم من ذوي السلطة والنفوذ يتصنع ويتكلف للمهابة والتوقر ، فإن سميت العلم

قد أحاطهم بهالة من التعظيم والاحترام تنحسر عنها الأبصار . وإذا كان هذا شأن العلماء الحقيقيين ، فإن غيرهم من المدعين لا نصيب لهم من هذا الشرف ، لأنهم لم يصونوا العلم ولم يعظموه ، ورضوا أن يكونوا مطية للجسارة وأعوانا للمتسلطين لقاء ما ينالونه من منافع موائدهم ، فهم قد حرموا لذة العلم وحرموا معها عزته ، وهؤلاء هم الذين يعينهم القاضي الجرجاني في البيتين الأخيرين من القطعة ، اللذين هما مغزى نخره ، وصرح به ليكون أبلغ في التوجيه والإيحاء .

ومن هذا المعنى قول أبي الحسن النعماني البصري أحد مشيخة القرن الخامس :

إذا أعطشتك أكف اللئيم كفتك القناعة شيباً ورياً
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا
أيتاً بنفسك عن باخل تراه بما في يديه أيأ
فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحيا

وهي أبيات قليلة النظر في الحض على علو الهمة وشرف النفس وعدم التشوف لما في يد الغير وصيانة ماء الوجه من أن تكدره أو تستنزفه الحاجات والأطعاع ، ولعل شاعراً غير فقيه لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه الأبيات في بلاغة معناها وجزالة مبناها ، لأن رصيد الشعر مليء بالسؤال والرجاء والأمل ، فلا تفلت من يكون هو رأس ماله من تأثيره فيه والإنفاق منه إذا اضطر ذلك ، بخلاف الفقيه الذي يعرف حكم الشريعة في السؤال ، ويروي قول الرسول (ﷺ) : « لآن يأخذ أحدكم حبله فيحطب فيبيع فيأكل خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ، وقوله : « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » .

فإنه يستقي من ماء غير آسن ، وإذا قال شعراً في وجوب الاحتفاظ بالكرامة الشخصية فلا يكون إلا هكذا .

وحكى السبكي في الطبقات أن البرقاني كان يقول في صاحبنا النُعمي :
« هو كامل في كل شيء لولا بأو فيه » . ونحن نقول بهذا البأو الذي يُعيب على صاحبه هذه الآيات الرائعة ...

ومن شعر عبد المهيمن الحضرمي وهو من شيوخ ابن خلدون ، وكان كاتب العلامة للسلطان أبي الحسن المريني قوله ، وفيه لزوم على ما لا يلزم :
أبت همتي أن يراني امرؤ على الدهر يوماً له ذا خنوع
وما ذاك إلا لأنني اتقيت بجز القناعة ذلّ القنوع

القنوع السؤال ، ومما حجب لنا رواية هذين البيتين هنا أن صاحبها كان في حياته العملية عند قوله هذا ، ولم يكن متبجحاً بكلام لا ظل له من الحقيقة كما هي عادة الشعراء غالباً ﴿ ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ فقد حدث أن السلطان أبا الحسن المريني الشهير أغلظ له القول ذات يوم ، وهو يلي كتابة علامته ، فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره أمام السلطان وقال : « هذا الجامع بيني وبينك » ، وقام مغاضباً له ، فجفل السلطان وندم على ما صدر منه وترضاه وأفضل عليه :

وهكذا صدق فعله قوله وطابق سلوكه خرد ، وتلك هي أخلاق العلماء .
ونعرض للشعر المخصوص بالوصايا والحكم مكتفين بهذا القدر من شعر الفخر ، وللشافعي في الباب أبيات عامرة منها قوله في الإخوان الميثاليين :
أحب من الإخوان كل مواتٍ وكل غضيض الطرف عن عتراتي
يوافقني في كل أمر أريده ويحفظني حياً وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليت أني أصبته فقاسمته مالي من الحسنات
تصفحت إخواني فكان أقتهم على كثرة الإخوان أهل ثقاتي

ومنها في النصيح العام :

دع الأيام تفعل ما تشاء
ولا تجزع لحادثة الليالي
وكن رجلاً على الأهوال جلداً
ولا حزن يدوم ولا سرور
ورزقك ليس ينقصه التأي
إذا ما كنت ذا قلب قنوع
وطب نفساً بما حكم القضاء
فما لحوادث الدنيا بقاء
وشيمتك الساحة والسخاء
ولا يؤس عليك ولا رخاء
وليس يزيد في الرزق العناء
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومنها في الحث على السفر :

ما في المقام لذي عقل وذي أدب
سافر تجد عيوضاً عمّن تفارقه
إني رأيت وقوف الماء يُفسده
والأُسْدُ لولا فراق الغاب ما اقتربت
والثيبر كالثبر ملقى في أماكنه
فان تغرب هذا عز مطلبه
من راحة فدع الأوطان واغترب
وانصب فان لذيذ العيش في النصب
إن سار طاب وإن لم يسر لم يطب
والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والعود في أرضه نوع من الحطب
وإن تغرب ذاك اعتز كالذهب

إن هذه القطع من شعر الشافعي أشهر من أن تُعرّف فهي تجري على كل لسان ، وذلك لسهولتها وسلامة منطقتها ، فالناس يتمثلون بها في كل مناسبة ، وتلاميذ المدارس يستظفرونها لأنها مما يُلقنونه في محفوظاتهم ، ولذلك اقتصرنا عليها وإلا فإن الأمر كما قال في الطبقات الكبرى : « ولا معنى للإكثار من ذكر شعر الشافعي رضي الله عنه وهو شيء قد طبّق الأرض » .
ومن شعر أحمد بن المعدّل السائر مسرى الأمثال :

ولست بنظار إلى جانب الفنى
وإني لذو صبر على ما ينوبني
إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ومن شعر عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك . وقد شد الرحلة
إلى لقاء الإمام بالمدينة من بلده مصر ، وهو كثير الإنشاد بين أهل العلم :
أقول وزممت لارحيل ركائي أعيدني لفقدي ما استطعت من الصبر
أليس من الخسران أن ليالياً تمرُّ بلا نفع وتحسب من عمري
ومقطعات العلماء في غرض الأدب والحكمة كثيرة ، بل إن منهم من
لم يكن ينظم الشعر إلا في هذا الغرض ، كمنصور الفقيه وقد ترجمنا له
وذكرنا نماذج من شعره ، ومحمود الوراق وهو ممن أكثر وأطاب في هذا
الباب ، وكان من أهل العلم والرواية ، أخذ عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي في
خلافة المعتصم ، وإحسانه ، وشرف منزعه يكاد لا يخلو ديوان من دواوين
الأدب من إنشاد مقطعاته الجميلة ، ونحن لموافق المقصد نورد منها بعض العيون
تقديراً لعمليته الأدبي الجليل وإشاعةً لنصحته الخالص الثمين .

فمن ذلك قوله في التحذير من التتابع في الذنوب :

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنوب واحد

وقوله وهو من الأمثال السائرة :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وقوله في مداراة الأصدقاء :

دار الصديق إذا امتشاط تفضباً فالغيط يخرج كامن الأحقاد
ولربما كان التفضب باعثاً لثالب الآباء والأجداد

وقوله في معنى كاد الفقر يكون كفرا :

لبستُ صروف الدهر كهلاً وناشئاً
فلم أرَ بعدَ الدين خيراً من الغنى
وجربتُ حالِيه على العسر واليسر
وقوله في معنى إنما الأعمال بالخواتم :

أخاف على المحسن المتقي
فذلك خوفي على محسن
وأرجو لذي المنفوات المسي
على أن ذاك الزبيغ قد يستفيق
فكيف على الظالم المعتدي
ويستأنف الزبيغ قلبُ التي

وقوله في الحض على الإنفاق :

تمتع بمالك قبل المات
شقيتَ به ثم خلفته
وإلا فلا مال إن أنت متا
فجادوا عليك بزور البكاء
وأرهنهم كل ما في يديك
لغيرك بعداً وسحقاً ومقتا
وجدتَ عليهم بما قد جمعا
وخلطوك رهناً بما قد كسبنا

وقوله في عدم عيب الفقر :

يا عائب الفقر أما تزدجِرُ
من شرف الفقر ومن فضله
عيبُ الغنى أكثر لو تعتبر
أنتك تعصى كي تنال الغنى
على الغنى لو صح منك النظر
ولست تعصى الله كي تفنقر

وبعد هذه النبذة من شعر الشيخ محمود الوراق تتعرض للون آخر من شعر أصحابنا الفقهاء في المواعظ والنصائح ، وهو ما يوجهونه إلى أبنائهم خاصة وإن كان مضمونه عاماً يصلح للجميع . إن هذا البحث يجب أن يأخذ بأطراف الموضوع وإن لم يستوعبه كل الاستيعاب . فمن الضروري أن نلم بهذا النوع من الشعر الحكيم أيضاً .

فما اخترناه منه قولُ يَمُوتُ بن المُرَرِّع النحوي الأديب الراوية المشهور ، ابن اخت أبي عثمان الجاحظ ، يوصي ولده المهكهل :

مهلهل قد شربت شطور دهمري (١) وكأخفي به الزمن العنوت
 وجاريت الرجال بكل ربّع فأذعن لي الحُمالة والرثوت (٢)
 فأوجع ما أجنّ عليه قلبي كريم عضه زمن بغيوت
 كفى حزناً بضيفة ذي قديم وأبناء الطريف لها الشخوت
 وقد أسهرت عيني بعد غمض وفي لطف اليمين لي عزاء
 وإن يشتدّ عظمك بعد موتي فلا تقطعك جائحة سبوت (٣)
 تجبّ في الأرض وابغ بها علوماً ولا تلتفتك عن هذا اللثوت
 وإن بخل العليم عليك يوماً فذلّ له وديدنك السكوت
 وقل بالعلم كان أبي جواداً يقال فمن أبوك فقل يموت
 تقيراً لك الأبعد والأداني بعلم ليس يحجده البهوت

ومنه قول الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي ينصح ابنه
 أو ابن أخيه على ما قيل :

أبا بكر دعوتك لو أجتنا إلى ما فيه حظك إن عقلنا
 إلى علم تكون به إماماً مطاعاً إن أمرت وإن نهيتنا
 ويجلو ما بعينك من عشاها ويهديك السبيل إذا ضللتنا
 ينالك نفعه ما دمت حياً ويبقى ذخره لك إذا (٤) ذهبتنا
 وتحمل منه في ناديك تاجاً ويكسوك الجميل إذا اعتربتنا
 هو العَضْبُ المهْتَدُ ليس ينبو تصيب به المقاتل إذا (٥) ضربتنا

(١) أي جربته ومرفته .

(٢) الرؤساء .

(٣) قاطمة .

(٤) و (٥) لهما « إن » ليستقيم الوزن .

(لجنة المحلة)

وكنز لا تخاف عليه لصاً خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفتاً شدداً
إلى أن يقول :

وإن أُوتيتَ فيه طويلَ باع وقال الناس إنك قد سبقنا
فلا تأمنُ سؤالَ الله عنه بتوبيخ: عَلِمْتَ فهل سَعِمْنَا؟
فأُس المال تقوى الله منا وليس بأن يقال لقد رأستا
وأحسن ثوبك الإحسانُ لا أن ترى ثوبَ الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يُفدك العلمُ خيراً فخير منه أن لو قد جهلنا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا

وهي قصيدة طويلة نجتزئ منها بهذا القدر ، ونلاحظ أنها مع وصية يموت ابن المزرع تعبر عن أئوبة حانية واهتمام شديد بمستقبل الولد الناشئ ، وحرص على حيازة جميع الخير له وجعل طلبه العلم هو أول ما يهتم به الناشئ ، ولعل ذلك مما يمتاز به عن نصائح الشعراء لأولادهم ، فإن العلم في الإسلام من أهم الواجبات ، ولهذا يأخذ به المشايخ أولادهم ، وذلك إلى ما تركيز عليه النصيح من تقوى الله والعمل بالعلم وعدم الافتتان بالدنيا ، وقد خلصت هذه الروح إلى عصرنا هذا فتأثر بها من قال شعراً في وصية ابنه من أهل العلم كالمرحوم عبد الله باشا فكري في أبياته المشهورة :

إذا نام غيرٌ في دجى الليل فاسهر ووقم للمعالي والعوالي وشمر
وأخيراً نومي إلى مطولات أصحابنا الفقهاء الأدياء في الوصايا والحكم ، التي ضاهوا بها أحسن مطولات الشعراء وفاقوها بما مزجوا به نصائحهم من مبادئ التربية العالية التي تحرص على تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وفتح القلوب المغلقة لما جاء به الإسلام من خير ویر وإحسان .

وفي طليعة هذه المطولات نونية أبي الفتح البُستي الرائعة التي لا كفاء لها في الحسن والجمال ، فقد جمعت إلى النصائح العالية والآداب الرفيعة متانة الأسلوب والتفنن في الأداء مما يجعلها فريدة في بابها . وكان البستي من مشايخ العلم والرواية فضلاً عن رسوخ قدمه في الأدب ، سمع الكثير من ابن حبان وروى عنه الحاكم وغيره ، وكان صديقاً لأبي سليمان الخطابي الذي سبقت ترجمته .

ونحن لا زوي مطولة أبي الفتح كلها لاشتهارها وعدم خلطو أي ديوان أدبي منها ، ولكننا نحى أن نضع اصبع القارىء على أبيات منها نتبث ما قلناه صدرَ هذا البحث فيما يمتاز به شعر الفقهاء الحكيم من كونه يحوي زبدة الآداب والأخلاق التي أتى بها الشرع وحسنها العقل ، وإن كان جميع ما قدمناه من كلامهم يدور في هذا الفلك . فمنها المطلع الذي يقول فيه :

زيادةُ المرء في دنياه نقصانٌ وربحه غيرَ محضِ الخيرِ خسرانٌ
وكلٌ وجدانٌ حظٌ لا ثبات له فإن معناه في التحقيق فقدانٌ

إن التزهيد في الدنيا من مقاصد الدين ، أي دين كان ، ولكن عرّضه في شكل عملية حسابية كهذه الصورة التي قدمها لنا البستي في مطلع مطولته هو من نتائج الفكر الفلسفي ، وبذلك يكون مزج بين التعاليم الشرعية والوضعية ليخرج هذا المطلع البارِع .

ويتبادى صاحبنا في مزج الحكم الفلسفية بالنصائح الدينية فيقول :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما هو (١) خسرانٌ
أقيلُ على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانٌ

ويأتي بعد ذلك بجملة من الأبيات تتضمن حكماً عملية في السلوك

(١) لعلها : فيه . (لجنة المجلة)

والأخلاق ينتدئها بقوله من يفعل كذا يلق كذا فتذكرنا أبياته هذه بنظيرتها في معلقة زهير الذي حكم له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه أشمر الناس لتلك الأبيات التي يقول فيها ومن ومن . وكنا حريين أن نقعد مقارنة بين أبيات زهير وأبيات صاحبنا لولا مراعاة الأدب اللازم لمقام الخليفة الثاني وحكمه .

ثم يقول البستي جامعاً بين قولهم (رأس الحكمة مخافة الله) والآية الكريمة : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ في بيت واحد بحكم البناء حسن التصوير :

هما رضيعا لِيانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
وساكننا وطنٍ مالٍ وطفيان
وَيُلَمِّحُ إِلَى الوصية التقليدية وهي العلم والعمل فيقول في إيجاء جميل :
يا أيها العالم المرضي سيرته
أُبشِرُ فَأنتَ بغير الماء رِيَّان
ويا أبا الجهل لو أمسيت في لجج
فأنت ما بينها لاشك ظمآن
ويختم بهذا البيت الفذّ الجامع :

وكلُّ كَسْرٍ فان الدين يَجِيرُهُ وما لِيكسر قناة الدين جِيران
وهناك مطولة ثانية سارت كل مسار واشتهرت أي اشتهار ، وهي لأحد أدياء الفقهاء أيضاً نعي به القاضي عمر بن الوردى ، وتعرف بلامية ابن الوردى أو بأول كلمة منها وهي (اعتزل) لأنها تبدأ هكذا :

اعتزل ذكر الأغاني والفزل وقدر الفصّل وجانب من هزل
ويطلب على هذه المطولة طابع الحكمة العربية المطعمة بتعاليم الدين ، فهي بعد هذا المطلع الذي يبين عن نظرة فقهية إلى الفناء وما يليه ، تؤكد على الإعراض عن حياة اللهو والمجون وتحذر من الاستهتار في الهوى والتصابي ، وإن كان قد لوحظ على ابن الوردى أنه في بعض أبيات هذا القسم يُعدّ مُغزياً ببعض ما حذر منه أكثر منه مُحذراً . ثم تهج المطولة نهج

الحكمة العربية في الاعتبار بالماضين وإتيان الموت على الأولين والآخريين :
 كَتَبَ الموتَ على الخلق فكم فلان من جيش وأفنى من دول
 أين غرودُ وكنمانُ ومن ملك الأرض وولّى وعزل
 وتُمرّج بعد ذلك على الوصية بطلب العلم والتفنن فيه ، والاشتغال بالأدب
 وعدم ابتذاله وتقول :

أنا لا أختار ثقيل يد قطعها أجمل من تلك القبل
 مملك كبرى عنه تفني كسرة وعن البحر اجزاء بالوشل
 ثم تنبه على سخافة الافتخار بالأصل والفصل في هذه الآيات المعيرة :
 لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتي ما قد حصل
 قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد يُبني الزغل
 قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل
 ثم تشير إلى مسؤولية الحكم وتنفير منه بهذين البيتين السائرين :
 لا تلج الحكم وإن هم سألوا رغبةً فيك وخالف من عدل
 إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
 وبعد وصايا أخرى عامة يحتم ابن الوردي مطولته بهذه الآيات متحدثاً
 عن شخصه :

أيها العائب قولي عبثاً إن طيبَ الورد مُودٍ بالجُمل
 عدٍ عن أسهم لفظي واشتمل لا يُصينتك سهم من مُعمل
 لا يفرثك لين من فتي إن للحيات لينا يُعتزل
 أنا كالخيزور صبب كسره وهو لدن كيفما شئت انفتل
 غيرَ أنني في زمانٍ من يكنن فيه ذا مال هو المولى الأجل
 واجبٌ عند الوري إكرامه وقليلُ المال فيهم يُستقل
 كلُّ أهلِ العصر مُغمّر وأنا منهم فترك تفاصيل الجمل

وهذا حكم خطير واعتراف أخطر منه . ونشير إلى أن لامية ابن الوردي بالخصوص تعطي صورة غير مرضية عن عصره ومجتمعه ، وبما أن هذا الجانب لا يهمننا فإننا لم نعرض له .

وبجمل القول فإن ما أوردناه في هذا الباب من شعر الفخر وشعر الآداب والأخلاق ، كله مما يشهد لأصحابنا الفقهاء بقوة العارضة في الأدب ، ورسوخ الملكة في الشعر ، ويجعلهم يقفون في صف كبار الأدباء والشعراء من غير طبقتهم ولا يترك مجالاً لانتقاد يميز كلامهم من كلام عامة أهل الأدب وقالة الشعر إلا انتقاداً مفرضاً لا نصفة فيه .

عبد الله كنون



نظرات في المعجم الوسيط

- ١٥ -

عاشراً : تعريف الملل والنحل والمذاهب المختلفة (*)

الملاحظات	تعريفها في المعجم الوسيط	الكلمة
هذه التعريفات وردت في المعجم الوسيط ، وهي إلى جانب عدم تنسيقها كوحدة تستعمل في موضوع واحد ، ترد عليها ملاحظات عديدة أهمها :	الشرية أو الدين ، كلمّة الإسلام والنصرانية ؛ وهي اسمٌ لما شرعَ الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة .	المِلَّة
١ - المِلَّة في العربية : السّنة والطريقة ، ومن الحجاز المِلَّة : الطريق السلوكيّة ، ومنه : مِلَّة إبراهيم عليه السلام خير الملل ، ومن ذلك كَلَّمه : المِلَّة : الشريعة أو الدين ، وصاحب	و - الدِّيَّة . (ج) مِلَلٌ .	

(*) ليس المقصود من نظراتنا في هذه التبعة ، نقد التعريفات الواردة في المعجم الوسيط فحسب ، بل المقصود جمع ما وقع نظرنا عليه من تعريفات متعلقة بموضوع واحد ليتمكن الناقد من ملاحظة الاختلاف في تعريف الكلمات المتأثلة ، من حيث الصياغة ، أو من حيث انتقاء ألفاظ كل تعريف منها ، وذلك بسبب النقل عن معجمات مختلفة ، أو بسبب تعدد واضعي التعريفات ، وملاحظة النقص الواجب تلافيه ، أو الزيادة الممكن الاستغناء عنها في الطبعة القادمة ، ومن كمال صنع المعجم في العصر الحديث ، بهد التخطيط لها بحسب نوعها والغاية منها ، تعاون عدد من العلماء المختصين كل حسب اختصاصه ، في وضع التعريفات المختلفة ، ثم انفراد الواحد منهم في الإشراف على تنسيق التعريفات المتعلقة بالموضوع الواحد ، ليكون العمل دقيقاً متكاملًا ومنسجماً بعضه مع البعض الآخر .

- ٦٠٠ -

القاموس يشير إلى ترادف الكلمات الثلاث ،
 أما الراغب فقال : المِلَّة : اسم لما شرعه الله
 تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى
 جواره ، والفرق بينها وبين الدين ، أن المِلَّة
 لا تضاف إلا للشيء الذي تستند إليه ولا تكاد
 توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة
 ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها .
 من هذا نجد أن المعجم الوسيط أغفل بعض
 معاني الكلمة الأصلية ونقل شرحاً يمكن الاستغناء
 عنه . ولقد كان من المستحسن أن يكون
 التعريف كما يلي :

المِلَّة : السُّنة والطريقة أو الطريق المسلوكة .
 و — الشريعة أو الدين . و — الدِّية .
 (ج) مِلَلٌ .

٢ — النِّحْلَةُ في الأمهات : الدَّعْوَى ،
 والدِّيانَةُ ويقال ما نَحَلْتِك أي ما دينك؟ والنِّحْلَةُ :
 المذهب ، يقال — كما في المعجم الوسيط — انْتَحَلَ
 مذهباً كذا : أي انتسب إليه ودان به .

لقد أغفل المعجم الوسيط بعض معاني هذه الكلمة ،
 وكان من المستحسن أن يكون تعريفها كما يلي :
 النِّحْلَةُ ... الدَّعْوَى و — الدِّينُ
 والعقيدة والمذهب . م (٣)

النِّحْلَةُ .. الدِّينُ والعقيدة ؛
 يقال : ما نَحَلْتِك ؟

٣ - كلمة (دين) في العربية ذات معان كثيرة وكلثها - كما يقول ابن فارس - ترجع إلى جنس من الاتقياد والذلل، وقد فات المعجم الوسيط إثبات بعضها، رغم أنه أشار إلى أكثرها، إن في تعريف الكلمة أو في تعريف كلمة (دينة) أو عند الكلام على فعل (دان)، ومن ذلك المعاني التالية،

الدين... الغلبة . و - القهر . و - الإكراه . و - الداء . و - الذلل . و - الجزاء . و - العبادة . و - الطاعة . و - الاستعلاء . و - المواظب من الأمطار أو اللين منها .

٤ - نقل المعجم الوسيط تعريف الشرع والشرعية عن المعجمات القديمة، وكان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف المعنى الذي آلت الكلمات إليه، فيصبح تعريفها كما يلي: الشرع: 'الشرعية'. و - الطريق' ... الشرعية: 'ما شرعه الله لعباده، و - مجموعة القواعد والأحكام الملزمة. و - علم على الشرعية الإسلامية...

الدين ما يتدين به الإنسان . و - اسم لجميع ما يُعبد به الله . و - المِلَّة . و - الإسلام

الشرعُ الطريقُ . و - ما شرعه الله تعالى

الشرعية ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام ..

٥ - أحسن المعجم الوسيط بإثبات تعريف حديث لكلمة (مذهب) ، غير أن التعريف المذكور لا يرد عند الفلاسفة فحسب ، فالمذاهب معروفة في العلوم والفنون على اختلافها ، لذا فمن الدقة لو أبدل المعجم بقوله : (عند الفلاسفة) القول : (عند العلماء) أو (في العصر الحديث) .

٦ - في تعريف كلمة (الطَّريق) أثبت المعجم الوسيط المعنى التالي : مسلك الطائفة من المتصوفة ، وكان من المستحسن أن يثبت في تعريف كلمة (الطريقة) أنها : و - إحدى الطرق الصوفية .

٧ - تعريف كلمة (الفرقة) تنقصه الدقة . وكان من المستحسن أن يكون كما يلي :
الفرقة : الطائفة من الناس تدين برأي أو مذهب واحد . و - مجموعة من الأفراد يشتركون أو يقومون بعمل واحد ؛ يقال : فرقة التمثيل الخ ...

المذهب ' الطريقة . و - المتقد الذي يُذهبُ إليه . و - (عند الفلاسفة) : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة . (معج) .

الطَّريقَة ' الطَّريق . و - السيرة . و - المذهب ...

الفرقة ' الطائفة من الناس ؛ يقال : فرقة التمثيل ، وفرقة الألباب ، وفرقة المطافي ...

الطائفة ' الجماعة ' والفرقة ' ... و - جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به ...

المَدْرَسَةُ ... و — المَذْهَبُ
(مو) . يقال : هو من مدرسة فلان : على رأيه ومذهبه .
٨ — لقد كان من المستحسن أن يضاف إلى معنى كلمة (مدرسة) المُوَلَّد ، المذكور في المعجم الوسيط ، المعنيان التاليان : و — الطريقة . و — السلوك .

الإسلامُ « في الشرع » : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ .
النَّصْرَانِيَّةُ دين المسيح عليه السلام .
النَّصْرَانِيَّةُ من تعبَّد بدين النصرانية ..
المَسِيحُ عيسى بنُ مريم عليه السلام .
المَسِيحِيُّ المنسوب إلى دين المسيح عليه السلام .
الهُودُ اليهودُ .
الأديان السماوية ثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية ، وجاء التعريف بهذه الأديان واتباعها في المعجم الوسيط متفاوتاً غير منسق ، فتعريف (الإسلام) جاء كما يعرف في « الشرع » دون أي ذكر لكلمة (مسلم) ، بينما عرفت (النصرانية) بأنها دين المسيح عليه السلام ، و (اليهودية) بأنها ملة اليهود .
لقد كان من المستحسن أن ترد التعريفات المتعلقة بالأديان الثلاثة ، في مثل المعجم الوسيط ، متماثلة ، كأن تكون كما يلي :
المُسْلِمُ : واحدُ المسلمين .
الإسلامُ : دين أتباع محمد ﷺ .

النَّصْرَانِيَّةُ : واحدٌ النصراني .
 النَّصْرَانِيَّةُ : دين أتباع المسيح عليه السلام .
 اليهوديُّ : واحد اليهود .
 اليهوديَّةُ : دين أتباع موسى عليه السلام .

اليهودُ بنو إسرائيل . قيل إنهم
 سمَّوا كذلك باسم يهوذا
 أحد أبناء يعقوب .
 اليهوديُّ واحد اليهود . و —
 المنسوب إلى اليهود ..
 اليهوديَّةُ ملَّة اليهود .
 اليَهُودِيُّ اليهوديُّ

المذاهب المعتمدة عند أهل السنة من
 المسلمين أربعة هي : مذهب الإمام الأعظم
 أبي حنيفة النعمان ، ومذهب الإمام مالك بن أنس ،
 ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي ،
 ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ومن التدقيق
 في تعريفات المعجم الوسيط نلاحظ الأمور التالية :
 أولاً : لم يرد أي ذكر لمذهب الإمام مالك بن
 أنس في مواد المعجم ، بينما وردت
 الإشارة إلى مذهب الإمام الشافعي في كلمة
 (تشفّع) فقط ، أما مذهب الإمامين
 أبي حنيفة وأحمد بن حنبل فقد
 ذكرا مرتين !

الحَنَفِيُّ تابع مذهب أبي حنيفة ،
 وهم الحنيفة . (ج)
 أحنافٌ .
 تحنّف انتسب إلى مذهب « أبي
 حنيفة » .
 الحَنَبَلِيُّ من يقلّد مذهب الإمام
 أحمد بن حنبل . (ج)
 حنابلة . و — المتشدّد
 في رأيه وسلوكه .
 (محدثة) .
 تحنّب قلّد الإمام ابن حنبل
 في مذهبه . ويقال :

ثانياً : فقد الإمام الأعظم أبو حنيفة « إماميته »
في المعجم ، بينما احتفظ بها الإمامان
الآخران !

ثالثاً : استعملت في التعريفات المذكورة ألفاظ
مختلفة لمعانٍ واحدة بدون أي موجب ،
فالتحذيف انتساب ، والتحذيل تقليد ،
والتشفيع تذهب !

رابعاً : لقد عُرف الإمام أحمد بن حنبل بشدته
في التمسك بالنصوص ، والتمسك
بالنصوص مزية في الشرع ، واستعمار
(العامة) كلمة « الحنبلة » لوصف التشدد
في الرأي والسلوك ، ويغلب أن يكون
التشدد بالرأي الشخصي عيباً من أهم
الميوب ، ومع هذه المفارقة كان من
المستحسن ، وقد أثبت المعجم الوسيط
المعنى المستعار ، أن يشير إلى مزية
الإمام أحمد بن حنبل تزيهاً له عن
العيب المستفاد من الفعل المشتق
من اسمه .

تحبيل فلان : تشدد في
رأيه وسلوكه (محدثة) .

تشَفَّعَ تذهب في الفقه بذهب
الإمام محمد بن إدريس
الشافعي .

الشَّنة .. وأهل الشَّنة : هم
القائلون بخلافة الشيخين
عن استحقاق ، وهما
أبو بكر وعمر ؛ ويقابلهم
الشيعة .

عنوانه الخطيب

(يتبع)



أبو يعقوب الخُرَيْمِي

- ٢ -

(٦)

أما عن شعره فقد عد من رواه الجاحظ وأحمد بن عبيد بن ناصح ، وذكر ابن النديم للخريمي ديواناً في مئتي ورقة (١) . وقال ابن عساكر : « له ديوان معروف » (٢) ويبدو أنه كان معروفاً لدى الخاصة ، ولم يكتب له ذبوع وانتشار ، ولم تتمدد نسخته ، لأننا لا نعلم عنه شيئاً غير هاتين الكلمتين ، ولا بد من أنه اختفى مبكراً كما اختفى ذكر الشاعر والحديث عنه ولم يكن له حظ من الشهرة (٣) .

لهذا ، كان على الباحث الحديث أن يجمع ما بقي للخريمي من شعر متناثر هنا وهناك في بطون عشرات الكتب ، وقد تتوفر ، كما رأينا ، « كمية » لا بأس بها . وإنا إن كنا نأسى على أن لم يكن للخريمي مكان لدى الأصبهاني ، فقد رد علينا بعض العوض الطبري في روايته للرأية كاملة ، ثم الحصري في بائية ولامية ، ثم ابن عساكر وفضله جليل .

(١) ابن النديم ١٦٤ - وهو بهذا يعدل ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ولا تدل جملة الأشار التي أوردها له أنه يستفي من الديوان .

(٣) ينظر ابن رشيق ١ :

- ٦٠٧ -

ولئن اختلفت بعض الروايات في نقل الشمر ، فإن ذلك قليل ، وإن جملة ما وصل إلينا موثوق النسب إلى صاحبه ؛ ولم يُختلف إلا في قصيدتين : الأولى يمكن أن تكون له فقد ذكر ابن المعتز وهو يتكلم على الخريمي أنه « هو القائل يفتخر :

ثبتي بجميل الصبر مني على الدهر ولا تثقي بالصبر مني على المهجر
أصاب فؤادي بعد خمسين حجةً عيون الطباء العفر في البلد القفر
ثم ذكر ثمانية أبيات وقال : « وقد روى قوم هذه القصيدة لأبي سعد قوصرة ، وليست بشيء وإنما هي للخريمي » (١) .
أما الثانية ، وعدتها سبعة أبيات ، ومنها :
وناديت من مروٍ وبلخٍ فوارساً لهم حسبٌ في الأكرمين حسيبٌ

* * *

وإن أبي ساسان كسرى بن مهرانٍ وخاقان لي - لو تعلمين - نسيب
فإن النقد الداخلي والخارجي يثني كونها للخريمي ويدل على تسرع في نسبتها إليه ، وتحميله بذلك من الشعوية ما يسهل أن يُستنبط منها ، لأنها لم ترد في مصدر قديم أو شبه قديم وإنما رواها ، أو روى بعضها ، أناس متأخرون جداً ، أقصد إلى أنهم من معاصرنا أمثال أحمد أمين وأحمد الشايب ومحمد نبيه حجاب وأحمد محمد الحوفي (٢) ؛ ومنهم من لم يرجعها إلى مصدر ،

(١) ابن المعتز ٢٩٣ - ٢٩٤ . وقد يضاعف من نسبتها إلى الخريمي أنها لا تدل على مجموع نفسه ، وإن داعي فخره ودفاعه « عن لؤي بن غالب » ضيف . وأبو سعد قوصرة هو عيسى بن خالد الذي ادعى أنه من بني مخزوم بنظره ابن المعتز ٢٩٥ وما علق به محقق كتابه ٤٩٨ ، ٥١٧ . وقد ذكر ٤٩٨ أن نسبة القصيدة تنوزعت بين المذلل بن غيلان وأبي سعد وأعرابي من طيء .
(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، الغاب ٢٣٣ ، حجاب ٣٠٦ ، الحوفي ٤٥١ .

ومهم من أرجعها إلى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١) ، ولكنك إذا عدت إلى هذا الكتاب لم تر أبياتاً للخريبي من هذا النوع ولم تجدها لأي شاعر آخر . ثم إن الأبيات تدل على أن ناظمها « فارسي » يفخر بكسرى . وما كان الخريبي (الصفدي التركي) كذلك .

وليست القصيدة ، بعد ذلك ، بذات بال فنياً ، ولا تدل على النفس الذي عودنا إياه الشاعر « المفترى عليه » فأين هي مثلاً من لاميته التي قال فيها :
« أَبِالصَّعْدِ بِأَسْ إِذْ تُعَيِّرُنِي مُجْمَلٌ » .

★ ★ ★

إذا نظرنا في هذا الذي اجتمع لدينا من شعر الخريبي وأخباره رأينا أن الشاعر لم يكن مقلداً وأنه خاض فيما خاض فيه معاصروه من قضايا وقال فيما قالوا فيه من أغراض ؛ وأنه قد تميز ، أكثر ما تميز ، بالمدح . وكان المدح الوسيلة التي يكسب بها قوته بل يكسب بها ما زاد على القوت من مال وجاه ، وانه بعد أن مرّ بدور غير قصير من التجربة والخطأ ، وقصد بدافع الحاجة من لا يستحق القصد فدعاه ذلك إلى شكوى الزمان ، بلغ عثمان الخريبي فاستنّ له طريقاً في المدح قائمة على الاقتصار على الكرام نفساً ويداً ، وعلى التقرب منهم حتى يصبح رفيقاً أنيساً عندهم . وصديقاً أثيراً لديهم ، وهم يحققون له رغبته دون أن يبذل ماء وجهه .

(١) حجاب ، الحوفي .

والمح بروكلان ١٩ : ٢ ، برون ٢٦٨ : ١ إلى هذه القصيدة (البائية) منسوبة إلى الخريبي . ومن بدري فقد يكون الأصل في الخطأ يرجع إلى كولنزيير ، فهو من أقدم من بحث في الشعوية وذكر الخريبي في كلامه بكتابه « دراسات إسلامية » المطبوع في Halle مجلدين عام ١٨٨٩ - ١٨٩٠ . (وإليه أشار برون عندما أطلق حكمه ، ومثله بروكلان) .

وكان يزجي المدح إليهم في مناسبات شتى فيجود ويمجّب وتسير آياته لما تحتوي صياغتها العالية من معانٍ طريقة مبتكرة حيناً ، ومولدة أحياناً ، وهي سائرة ، في كل حين ، على النهج العربي المألوف للشعر المختار فتكون بذلك استمراراً للتراث وجزءاً منه . ولا بد من أن كبار الشعراء كانوا يعجبون بها وقد يتأثرون ولا نقول يسرقون .

وإذ يقول الخريبي :

شَفَعْتُمْ مَكَارِمَهُ لِهِمْ فَكَفْتَهُمْ
جُهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
يقول أبو تمام :

طوى شيماً كانت تروح وتفتدي
وسائل من أعيّت عليه وسائله
ويقول المتنبي :

إذا عرضت حاجٍ إليه فنفسه
إلى نفسه فيها شفيح مشفع (١)
وإذ يقول الخريبي :

زاد معروفك عندي عظماً
تتناساه كأن لم تأتبه
يقول المتنبي :

تظن من فقدك اعتدادهم
أنهم أنعموا وما علموا (٢)
وإذ يقول الخريبي :

كأن عليه الشكر في كلِّ نعمة
يقلدونها بادياً ويميدها

(١) القاضي الجرجاني ٣٢١ ، البيان ٢ : ٢٤٣ .

(٢) القاضي الجرجاني ٣٥٤ ، البيان ٤ : ٦٥ . وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ ،

٣١٢ ؛ البيان ٣ : ١٨٧ .

يقول المتنبي :

من القاسمين الشكر بيني وبينهم لا أنهم يسدي إليهم بأن يسدوا (١)
ويتصل بمدح الخريمي ذكره المدوح بعد مر الزمان كما فعل في لامية
أثنى بها على عثمان الخريمي وهو يعاتب الوليد بن أبان :
.. جزى الله عثمان الخريمي خيراً ما جزى صاحباً جزل المواهب مفضيلاً
كفى جفوة الإخوان طول حياته وأورث مما كان أعطى وخوفاً (٢)
ويتصل به التشوق إلى المدوح إذ يمد عنه كما فعل في بائته التي بعث بها
إلى الحسن بن التختاخ في مصر (٣) .

ثم إنه يرثي بمدوحه بشعر حسن فيه أسف ولوعة وفيه ذكر حسن
وإطراء . فإذا يموت هؤلاء الذين بالفهم ويتقرب في مجلسهم وينال عطاءهم
يؤلمه فقد ويجزئه ويبعثه على الوفاء . وقد رثى كثيراً على النهج الذي سار
فيه لدى المديح وعلى مألوف العرب في اللفظ والمعنى ، وإذا خرج عنه
في الاستمارة فانه لا يخرج إلا " قليلاً قليلاً بحيث لا يحسن ؛ وقد سارت له
في الرثاء أبيات وقصائد . ولنا أن نستعيد العينية الثانية التي قلها في خريم
ابن أبي الهيثم لثرى تمكنه لغة " ونصاعة " ومعنى " وعاطفة " وصورة ؛ إنها
أبيات لا تصدر إلا " عن شاعر كبير وقد أعجبت الشعراء والنقاد والباحثين
على مر العصور .

(١) القاضي الجرجاني ٣٧١ ، التبيان ٢ : ٢٠٧ ، وبنظر التبيان ٢ : ٢٨٧ .

(٢) روى القصيدة الحصري ٢ : ١٠٧٠ - ١٠٧١ ، وذكر ابن قتيبة اليتيم ٢ : ٧٣١

قائلاً : « ولعثمان يقول أبو يعقوب » والصحيح أن يكون « وفي عثمان يقول
أبو يعقوب » لأنه لم يوجه كلامه إلى عثمان .

(٣) رواها الحصري ٢ : ١٠٧٢ - ١٠٧٣ .

« قال أحمد بن عبيد .. مات حميد الطوسي فرثاه علي بن جبلة ، فلقبته
 فقلت له : أنشدني مرثيتك حميداً ، فأنشدني :
 نعاء حميداً للسرايا إذا غدّتْ تذاذُ بأطراف الرماح وتوزع
 حتى إذا أتى على آخرها .. قلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن ،
 وقد قاربته وما بلغت . فقال : وما هو ؟ فقلت : أردت قول الخريبي في
 مرثيته أبا الهيثم [كذا] :

وأعدته ذُخراً لكلِّ مائةٍ وسبعمِ النايَا بالذخائر مولى
 فقال : صدقتَ والله ، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطعم في اللحاق به ،
 لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطعم أن يقاربه في
 هذه القصيدة» (١) .

« وذكر أحمد بن عبيد بن ناصح أنه قال لأبي تمام ، وكان يحيى المسجد
 الجامع ينشد أشعاره ... أخبرني عن قولك :
 كأنَّ بني نهران يوم وفاته نجوم سماءٍ خراً من بينها البدر
 أردتَ أن تصفَ حُسنَ حالهم بعدده أو سوءَ حالهم ؟ قال : لا والله ،
 سوءَ حالهم ، لأن قمرهم قد ذهب . فقلت : والله ما تكون الكواكب أحسن

(١) الأصبهاني ١٨ : ١١٣ - ١١٤ . وقد جاء في الرواية : « .. حتى إذا أتى على
 آخرها فقلت له ، والمناسب أن يقول « حتى إذا أتى على آخرها قلت » أو
 « .. حتى أتى على آخرها فقلت » . وورد كذلك : « في مرثيته أبا الهيثم »
 ولعل المناسب أن يقول « في مرثيته ابن أبي الهيثم » .

وعلي بن جبلة هو الشاعر المعروف بالمشكوك مدح أبا دلف وحميد الطوسي ...
 توفي سنة ٢١٣ . ينظر عنه ابن قتيبة ٢ : ٧٤٢ - ٧٤٦ ، ابن المعتز
 ١٧١ - ١٩٣ ، ٥١٣ - ٥١٦ ، ... زبدان - قاريغ آداب اللغة العربية
 ط ٢ ، ٢ : ٩٩ - ١٠٠ .

حالاَ إلاّ إذا لم يكن معها قمر ، ألا قلت كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي :

بقية أقمار من الفُرِّ لو خبت لظلّت معدّ في الدّجى تتسكّعُ
إذا قمرٌ منهم تفوّر أو خبا بدا قمر من جانب الأفق يلمع
قال : فوجم وسكت ، (١) .

وكان « محمد بن يزيد يقول : لو سئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المرثي لم أختَر على أبيات الخريمي :

ألم ترني أبنِي على الليث يبتهُ وأحسو عليه الترب لا أتخسَعُ
وأعدده ذخرًا لكلِّ مليمّةٍ وسهم المنايا بالذخائر مولع
وإني ، وإن أظهرت مني جلادة وصانفتُ أعدائي ، عليه لموجع
ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتهُ عليه ، ولكن ساحة الصبر أوسع ، (٢)
ولا بد من أن يكون المتنبي قد وقف على هذه العينية وأعجب بها وتأثر فآلم أو أخذ (٣) .

هذه العينية من روائع الشعر العربي ، وهي تشهد بأن الخريمي من شعراء الرثاء المجيدين . ولكن معاصري الشاعر لاحظوا تفوق مديحه على رثائه فاستغربوا وسألوه في أكثر من مناسبة ، وكان يجب جواباً يكاد يكون

(١) المرزباني - الموشح ٣٠٦ - ٣٠٧ : « قال أحمد بن محمد الحلواني ، ذكر أحمد

ابن عبيد ... » وينظر المرزباني - الموشح ٣٢٣ : « أخبرني الصولي قال ، عاب قوم على أبي تمام قوله : .. » وينظر القاضي الجرجاني ٢٠٣ .

(٢) السكري - ديوان ٢ : ١٧٥ « وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى ، واسم البرد محمد بن يزيد - وهو من المكبرين لشعر الخريمي -

(٣) ينظر القاضي الجرجاني ٢٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، التبيان ٣ : ١٠ ، ٣ : ٣٣٣ .

واحدًا : « كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينها بون بعيد» (١) .

★ ★ ★

ونظم الخريبي في أغراض أخرى ، وإذا لم يكن فيها ذا مكانة خاصة فإن له في بعضها ما تحسن الإشارة إليه ، ففي الفخر إذ دافع عن نسبه وامتدح شعره تحدث عن حسن الضيافة بيئتين سارا مثلاً وكأنها نموذج الفخر للكرم العربي وقد أثبتها أبو تمام على رأس الباب من كتاب « الوحشيات » وتناقلها الناس من بعده وتداولتها الكتب ، وهما :

أضحكُ ضيفي قبل إزالِ رحلِهِ ومُخصِبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما لخصبِ الأضيافِ أن يكثُرَ القيرى ولكتبنا وجه الكريمِ خصيبُ (٢)
وفي الحكمة ورد له البيت والبيتان ، وحاول أن يظهر بظهر الحكيم الذي يضع آراءه العامة في قالب مخصوص ، ولكنه لم يعد المعاني المألوفة في الشعر العربي فأخرجها المخرج المألوف دون تميز وإبداع ، وإذا قيل إن المتنبي تأثر بهذا القول أو ذاك ، وقيل انه إذ قال :

إذا لم تكن نفس النسب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب
فقد قال الخريبي قبله :

إذا أنتَ لم تحمِ القديمِ بجادِثٍ من المجد لم ينفَعَكَ ما كان من قبل (٣)

- (١) ينظر ابن قتيبة ١ : ٢٣ - ٢٤ ، ٢ : ٧٣٢ ؛ ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ ، ابن عبد ربه ٥ : ٣٢٧ ، الجهشيارى ٢٦٨ . . . وينظر الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .
ورأي البحترى يخالف رأي الخريبي ، فقد كانت سرائبه في أبي سعيد محمد الثوري وولده « أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المرأى المدائح » - الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .
- (٢) أبو تمام ٢٧٣ ، ٣٢٥ ، الجاحظ - البيان ١ : ١١ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ؛ عيون ٣ : ٢٣٩ ، الصبسي ١ : ٢٥٤ .
- (٣) القاضي الجرجاني ٣٧٠ - ٣٧١ ، البيان ١ : ١٥٥ ؛ وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ والبيان ٣ : ١٨٧ . وينظر لأمثلة أخرى من الحكمة ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

فقد يدل هذا على مكانة ما للخريمي ، وقد يدل على أهمية وذكر اتصل بالمتنبي وشرح شعره وبالوساطة بينه وبين خصومه ، ولكن المعاني شائعة ذائعة سبقت الخريمي ولحقت المتنبي .

وخير من هذه المعاني في رفع مكانة الخريمي ومنحه صفة من صفات التفرد بين شعراء العربية أبيات له ذات دلالة اجتماعية ونفسية وعقلية ، هي :

ما أحسنَ الفيرةَ في حينها وأقبحَ الفيرةَ في كل حينٍ
من لم يزلْ متَّهماً عيرُسهُ مُناصياً فيها لرب الظنُون
أوشك أن يفرَّها بالذي يخافُ أن يُبرزَها للعيون
حسبُك من تحصينها وضعُها منك إلى عِرض صحيح ودين
لا تطلُعْ منك على ريبَةٍ فيتبعَ المقرونُ حبلَ القرين (١)

أما الغزل فعلى الرغم من قول ابن المعتز فيه : « له في الغزل ملح كثيرة » (٢) فاننا لم نظفر له بما يؤيد هذا القول (٣) . وليس له في الهجاء ما يستحق الذكر ، ويظن أنه ودّع « الشكوى » مبكراً بعد أن اتصل بعثمان الخريمي ثم عاد لها مؤخراً عندما تزايدت عليه المصائب ، وكان من أقسامها فقهه البصر فنظم في ذلك غير قليل مصوراً آلامه وهمومه وجوداً في بعض ما قال وسار أكثره .

إن جيد الخريمي غير قليل ولكن أبرزه وأجدره بالبقاء والاحترام رائيته الرائعة البارعة التي صور بها آثار الفتنة بين الأمين والمأمون وما جرّت من ظلم ونهب وخراب .

قالوا ولم يلب الزمان ينفـداد ولم تـثر بها عوارها

- (١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .
(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .
(٣) ينظر ابن المعتز ٢٩٤ ، ٤٤٣ - ٤٤٤ ؛ البضادي ٦ : ٣٢٦ .

وقد حفظ الطبري غير قليل مما صحب هذه الفتنة من شعر ، ولكن ليس بين هذا الشعر ما يسمو سمو رائية الخرمي وليس فيه ما يقرب منها .
وروى السعودي قصيدة رائية للأعمى [المعروف بعلي أبي طالب] مطلعها :
تقطعت الأرجام بين العشار وأسلمهم أهل التقى والبصائر
وفيها :

فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور ذليل وقاهر (١)
وموضوعاتها تشبه موضوعات قصيدة الخرمي ولكنها بعيدة عن أن تدرك قصيدة
الخرمي فهي أضعف عاطفة وأقل خيالاً وهي أدخل في الشعر التعليمي منها
في الشعر الشعر .

ومن يدرينا ، فلعل ابن الرومي اطلع على قصيدة الخرمي وتأثر بها
وهو ينظم ميمته عن البصرة وما فعل بها الزنج (٢) .

★ ★ ★

يعرض الخرمي معانيه بلغة سليمة ثرية مختارة اللفظ جيدة السبك
مترفعة عن الرذول السفساف عليها غير قليل من رشاقة ونخامة . وقد دل
على أنه فقه اللغة العربية وضبطها وأدام النظر في روائع نصوصها وحفظ
الكثير من هذه الروائع حتى أصبحت جزءاً منه ولا بد من أن تكون

(١) السعودي ٣ : ٤٠٩ - ٤١٠

(٢) وقد اتبه إلى ذلك بروكلمان ٢ : ٤٦ فقال : « وينسج ابن الرومي على منوال
الخرمي فيحتزى أيضاً على وصف المواقف التاريخية كما في شكايته من غلبة
الزنج على البصرة » - تنظر القصيدة في المختارات التي عملها الكيلاني من ديوان
الرومي ، ومطلعها :

زاد عن مقلتي لتزيد النمام شغلها عنه بالدموع الجمام

الشام والجزيرة وبغداد مما زاد لفته صقلاً وتهذيباً ، حتى أمكن أن يعد شعرة مصدرراً للغة العالية ، وقد تجد عنده تميزات تستغربها ، إلا أنك لا تستطيع أن تفزوها إلى جهل أو ضعف أو تهاون لأنه يشغرك بمكانته ويقنعك بأنه أستاذ في فنه . ولم يكن عبثاً أن يقف عبد القاهر الجرجاني طويلاً في « دلائل الإعجاز » عند بيت الخريمي .

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتته عليه . ولكن ساحة الصبر أوسع مقررأ أن الأحسن إظهار المقول عند مجيء المشيئة بمد « لو » (١) .

★ ★ ★

وكان في عصره منهجان من الشعر : الشعر الذي لزم عمود الشعر ، والشعر الذي شرع يفارق العمود على يد بشار وأبي نواس ، أو فارقه فعلاً ، دون إغراق ، على يد مسلم بن الوليد إذ كان قصده بيناً إلى البديع بما فيه من غريب الاستعارة والجناس والطباق (مهدأً للمفارقة الكبرى على يد أبي تمام) . ولم يشأ الخريمي أن يتعد خارج إمكانه أو ينأى عن مدى شخصيته وظروف تكوينه ومستلزمات بيئته لذا بقى عمودياً أو بمعنى أدق قريباً من العمود ، فلم يتعد عنه إلا في حدود ضيقة هي الحدود التي يسمح بها المعنى ولا يبدو بها غريباً مستغرباً كما في قوله :

وفارقت حلوَ العيش إلا صبابةً عليها خطوب الحادثات تحوم (٢)

فهاً له ذلك أن يبقى معدوداً في المطوعين ، وحفظه من أن يتكلف القول فيما لم يكن له فيجره إلى ضعف ووهن ومسخف .

(١) عبد القاهر الجرجاني ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ابن عسك ٢ : ٤٣٧ .

وحين جاء أبو تمام ثم البحري ، ووقع النقاش في عمود الشعر ، ثم اشتد هذا النقاش واحتد ، وجاء الأمدي للموازنة ، أوضح مذهب الخريبي وهو يوضح مذهب البحري ؛ قال : « ... من فضل البحري ونسبه إلى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة وقرب المأثى وانكشاف المعاني ، وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . ومثل من فضل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام .

إن البحري أعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام فهو بأن يقاس بأشجع السلمي ومنصور [النمري] وأبي يعقوب [الخريبي] المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ... » (١)

إذاً كان الخريبي يمثل منهاجاً من الشعر ، وقد أقر ذلك الأمدي ، ثم القاضي الجرجاني ، إذ قال وهو يقدم للوساطة بين المتنبئ وخصومه : « إنك لا تدعي لأبي الطيب طريقة بشار وأبي نواس ولا منهاج أشجع والخريبي ، ولو ادعيتَه فأنما كنت تخادع نفسك أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين : إما أن تدعي له الصنعة المحضة فتلحقه بأبي تمام ... فإن ملت به نحو الصنعة فضل ميل سيرته في جَنَبَة مسلم ... » (٢) .

وكان المبرد معجباً بالخريبي وقد حدد مبكراً فن الخريبي إذ قال :

(١) الأمدي ١ - ٦ .

(٢) القاضي الجرجاني ٥٠ - ٥١ .

« كان شاعراً مفلحاً مطبوعاً مقتدرًا على الشعر » ، وقال : كان « جيد الشعر مقبولاً عند الكتاب وله كلام قوي ومذهب متوسط » (١) .

ولم يبالغ المبرد ولم يخرج بأحكامه عن الاعتدال . وكذلك كانت جل الأحكام التي صدرت في الخريمي ، فقد قال ابن المعتز : « وهذا الخريمي من الحسين المجيدين للشعر » (٢) . وقال ابن الجراح : انه « شاعر متقدم مطبوع له أشعار طوال ومدائح ، وكلامه عذب حسن » (٣) وكان الخطيب البغدادي مقتصدًا جدًّا في الكلام فاكتفى بأن قال : « أما أبو يعقوب فشاعر مُحسن » واكتفى ابن عساكر بأن أعاد أحكام غيره مرتين منسوبة ومرّة غير منسوبة (٤) . ويبدو أن أبا حاتم السجستاني كان شديد الإعجاب بحيث سمح لنفسه أن يقول : « الخريمي أشعر المولّدين » (٥) .

ولا شك في أن الخريمي نفسه كان يمي شعره ، ويدرك منزلته ويعرف ما يأخذ وما يدع ، وقد مدح مرة قصيدة له فقال :

هاكها غراءَ تسري في الدُّجى كل بيت عائرٍ منها تسير
حلتة حبرها ذو مِقَّةٍ بالهوى يسدي وبالود يُنير (٦)

(١) ابن المعتز ٢٩٣ « وحدثنى المبرد قال ... » . الحصري ٢ : ١٠٧١ « قال المبرد ... » ابن عساكر ٢ : ٤٣٣ ... ولاحظ ان المبرد مما كان يفضل البحرى - الأمدى ١ : ٢١٠١ .

(٢) ابن الجراح ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

(٤) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٥) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثنى محمد بن القاسم قال حدثنى الكراني قال سمعت

أبا حاتم ... » ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ .

(٦) ابن الجراح ١٠٤ .

ومدح أخرى فقال :

دونك غراء كالوذيلة لا تفتقد في بلدة سواثرها (١)
وكان الناس يستحسنون شعره فيسألونه :

— ما بال شعرك لا يسمعه أحدٌ إلا استحسنته وقبلته طبيعته ؟ فيقول :
— لأنني أجاذب الكلام إلى أن يساهلني عفواً فإذا سمعه إنسان سهل
عليه استحسانه (٢) .

وفي جوابه توضيح عامي للمقصود بالشعر المطبوع ودليل على عملية الخلق
الأدبي لديه .

ثم إنه لا يُكره نفسه على النظم ولا يسمح للعوامل الطارئة أن تعزبه
بالقول ، روى الحافظ : « قال لي أبو يعقوب الخريزي : خرجت من منزلي
أريد التماسية فابتدأت القول في مرثية لأبي التختاخ ، فرجعت والله
وما أمكنني بيت واحد » (٣) .

ولم يكن ذلك سحياً فهو أمرٌ يحترم فن الشعر ويفهم حقيقة القول
ويتشبت بمفهوم البلاغة ، ولا غرو أن كان الراوية الذي أوصل إلينا تعريف
ابن المقفع للبلاغة والقائل : « لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد . سئل
ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها
ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ،

(١) الطبري III ٨٧٩ .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن المبارك قال :
قلت لأبي يعقوب ... »

(٣) الجاحظ - البيان ١ : ٢٠٩ - ولعل الأصل لأبي علي التختاخ أو لابن التختاخ .

ومنها ما يكون في الاحتجاج ... فعمامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى إذا أعطيت كل مقام حقه وقت بالذي يجب في سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلاتهم لما فاتك من رضا الحاسد والمدو ؛ فانه لا يرضيها شيء . وأما الجاهل فلست منه وليس منك ...» (١) .

إن الخريبي شاعر من كبار شعراء العربية ، وتؤكد أنه كان معروفاً مشهوراً ، ولم يكن ذلك باطلاً ، إلا أن الملاحظ أنه كان معروفاً لدى الخاصة أكثر منه لدى العامة ، وأن ذكره تضاعف واختفى مبكراً حتى أن أديباً من أواسط القرن الخامس ، وهو ابن رشيقي ، تنبه إلى ما لحق الخريبي ، ولحق أمثاله ، من حيف فقال متألماً : « الاشتهار بالشعر أقسام وجدود» (٢) ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من أجله أو إنصافه ولم يرد له شيء يستحق الذكر في مجموع كتابه .

ألا إن أبا يعقوب اسحاق بن حسان الخريبي شاعر جدير بالإعجاب ، جدير بالاهتمام .



(١) الجاحظ - البيان ١ : ١١٥ - ١١٧ . وينظر السكري - الصنائع ١٤ ،

الحصري ١ : ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن رشيقي ١ : ٢٤٣ .

(٢) ابن رشيقي ١ : ١٠٠ (باب المشاهير من الشعراء) وفيه « .. ولولا ذلك

لم يكن نصر بن أحمد الخبززي أشهر من منصور النمرى وكاثوم المتاني وأبي يعقوب الخريبي وأبي سعيد الخزومي » .

المصادر والكتب الحديثة

- الأمدي — (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٧٠) .
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري . تم . السيد أحمد صقر ، ج ١ ،
القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٥) ١٩٦١ .
- ابن الأثير — (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ... الشيباني الجزري ، المتوفى
سنة ٦٣٠) .
الكامل في التاريخ . القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية — صحح أصوله الشيخ
عبد الوهاب النجار) ١٣٥٧ .
- ابن تغري بردي — (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، المتوفى سنة ٨٧٤) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة (مطبعة دار الكتب
المصرية) ١٩٢٩/١٣٤٨ .
- ابن الجراح — (أبو عبد الله محمد بن داود — وزير ابن المعتز ... المقبول سنة ٢٩٦) .
الورقة . تم . عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . القاهرة (دار
المعارف — ذخائر العرب — ٩) ١٩٥٣ .
- ابن حزم — (أبو محمد علي بن سعيد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
جمهرة أنساب العرب ، تم . ليفي بروفنسال ، القاهرة (دار المعارف —
ذخائر العرب — ٢) ١٩٤٨ .
- ابن خلكان — (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٦٨١) .
وفيات الأعيان . تم . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (مطبعة السعادة ،
نشر مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٨/١٣٦٧ .
- ابن دريد — (أبو بكر محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٣٢١) .
الاشتقاق . تم . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (نشر مكتبة الخانجي
— مطبعة السنة المحمدية) ١٩٥٨/١٣٧٨ .

- ابن رشيق — (أبو علي الحسن القيرواني ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
 الممثلة في محاسن الشعر ونقده . ت. محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة
 (ط ٢ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة) ١٩٥٥/١٣٧٤ .
- ابن عبد ربه — (أحمد بن محمد ... الأندلسي : المتوفى سنة ٣٢٨) .
 العقد الفريد . ت. أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري . القاهرة
 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٨/١٣٦٧ .
- ابن عدلان — (عفيف الدين علي بن عدلان الموصلية ، المتوفى سنة ٦٦٦) .
 يرى الدكتور مصطفى جواد (في مقالة نشرها في العدد السادس ، ص ١٥٢
 من مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٩/١٣٧٨) انه شارح ديوان
 المتنبي باسم التبيان ..) — ينظر التبيان ، العكبري .
- ابن عساكر — (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ... الشافعي ، المتوفى سنة ٥٧١) .
 التاريخ الكبير نشر بتهديب عبد القادر بدران . دمشق (مطبعة روضة
 الشام) ١٣٣٠ .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم .. الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦) .
 الشعر والشعراء . بيروت (نشر وتوزيع دار الثقافة) ١٩٦٤ .
 (مع المقابلة بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة (دار احياء الكتب
 العربية - عيسى الباسي) ١٩٥٠/١٣٦٩ وخطوط مكتبة شيخ الإسلام
 بالمدينة برقم ١٤٠) .
- عيون الأخبار . القاهرة (دار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية)
 ١٩٣٠ - ١٣٤٩ - ١٩٢٥/١٣٤٣ .
- ابن كثير — (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،
 المتوفى سنة ٧٧٤) .
 البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٣٢ .

- ابن المعتز — (أبو العباس عبد الله المقتول سنة ٢٩٦) .
طبقات الشعراء تح . عبد الستار فرّاج . القاهرة (دار المعارف —
ذخائر العرب — ٢٠) ١٩٥٦/١٣٥٧ (كانت الطبعة الأولى بتحقيق عباس
إقبال في سنة ١٩٣٨) .
- ابن منظور — (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، المتوفى سنة ٧١١) .
لسان العرب . القاهرة ، بولاق ١٣٠٠ .
- ابن النديم — (أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم ... صنع كتابه سنة ٣٧٧ ؟
وتوفي سنة ٣٨٥ ؟) .
الفهرست . تح . Gustav Flügel ، ليزيك ١٨٧١ (في الطبعة المصورة التي
عملتها مكتبة خياط (روائع التراث العربي) بيروت د . ت (١٩٦٤ ؟) .
أبو تمام — (حبيب بن أوس المتوفى ٢٣٢) .
كتاب الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى) علق عليه عبد العزيز الميمني
الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر . القاهرة (دار المعارف —
ذخائر العرب — ٣٣) ١٩٦٣ .
- أحمد أمين — ضحى الاسلام . الجزء الأول . ط ٥ ، القاهرة (مكتبة النهضة
المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ (كانت الطبعة
الأولى في سنة ١٣٥١/١٩٣٣) .
- الأصبهاني — (أبو الفرج علي بن الحسين ... ، المتوفى سنة ٣٥٦)
الأغاني . التزام ساسي . القاهرة مطبعة التقدم ، وطبع الفهرس بمطبعة
الجمهور ١٣٣٢ .
- بروكلمان — (كارل) . تاريخ الأدب العربي . نقله إلى العربية الدكتور
عبد الحليم النجار . ج ٢ ، القاهرة (جامعة الدول العربية — الادارة
الثقافية — دار المعارف) ١٩٦١ .

Browne (E. G) — Aliterary History of Persia. Cambridge, برون
the University Presse 1950.

- البغدادي — (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، المتوفى سنة ٤٦٣) .
 تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٣١/١٣٤٩ .
 البكري — (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المتوفى سنة ٤٨٧) .
 التنبيه على أوهام أبي علي القالي . القاهرة (ط ١ ، مطبعة دار الكتب
 المصرية ، على نفقة اسماعيل يوسف دياب) ١٩٢٦/١٣٤٤ .
 بيومي — (السباعي) ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ (في العصر العباسي بالشرق)
 ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي (١٩٥٣/١٣٧٢) .
 التبيان — التبيان في شرح الديوان (ديوان المتنبي) القاهرة . تح . مصطفى
 السقا ، ابراهيم الاياري ، عبد الحفيظ شلي . ملتزم الطبع والنشر شركة
 مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي — تراث العرب — ٣ : ط ٢ ، ١٣٧٦ /
 ١٩٥٦ ينظر ابن عدلان والمكبري .
 الجاحظ — (أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى سنة ٢٥٥) .
 الحيوان . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ
 - الكتاب الأول - مكتبة مصطفى الباي وأولاده) ١٩٣٨/١٣٥٧ =
 ١٩٤٧/١٣٦٦ .
 البيان والتبيين . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ -
 الكتاب الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٨/١٣٦٧ -
 ١٩٥٠/١٣٧٠ .
 البخلاء . تح . طه الحاجري . القاهرة (دار المعارف - ذخائر العرب -
 ٢٣) ١٩٥٨ . وفي ذيله تعليقات وشروح - ينظر الحاجري .
 الجرجاني — ينظر القاضي ، وينظر عبد القاهر .
 الجهشيارى — (أبو عبد الله محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣١) .
 كتاب الوزراء والكتاب . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الاياري ، عبد الحفيظ
 شلي . ط ١ ، القاهرة (مطبعة مصطفى الباي الحلبي) ١٩٣٨/١٣٥٧ .

- الحاجري - (طه) محقق الجاحظ - البخلاء (ينظر) ، وقد ذيل عليه في
المجلد نفسه بـ « تعليقات وشروح من ص ٢٤٧ - ٤٣٨ » .
- حجاب (الدكتور محمد نبيه حجاب) ، مظاهر الشعوية في الأدب العربي حتى
نهاية القرن الثالث . القاهرة (ط ١ ، مكتبة نهضة مصر) ١٣٨١ / ١٩٦١
(والكتاب رسالة دكتوراه باشراف الأستاذ عمر دسوقي) .
- الحصري - (أبو اسحاق ابراهيم بن علي ... القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ أو ٤٥٣) .
زهر الآداب وثمر الألباب . تح . علي محمد الجاوي . القاهرة (ط ١ ،
دار احياء الكتب العربية) ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .
- الحوفي - (أحمد محمد) ، أدب السياسة في العصر الأموي . القاهرة (ط ١ ،
مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ .
- الخطيب - ينظر البغدادي .
- الذهبي - (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ... ، المتوفى سنة ٧٤٨) .
كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تح . علي محمد الجاوي . القاهرة
(دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباي الحلبي) ١٣٨٢ / ١٩٦٣ .
- رفاعي - (الدكتور أحمد فريد) ، عصر المأمون . القاهرة . (ط ١ ، مطبعة دار
الكتب المصرية) ١٣٤٦ / ١٩٢٧ .
- الزبيدي - أبو الفيض السيد محمد مرتضى بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٠٥) .
تاج العروس من جواهر القاموس . القاهرة (المطبعة الوهبيية)
١٢٨٦ - ١٣٠٧ .
- الزركلي - (خير الدين) ، الأعلام . القاهرة (ط ٢ ، عشرة أجزاء) مطبعة
كوستاتسوماس وشركاه (١٣٧٣ / ١٩٥٤ - ١٣٧٨ / ١٩٥٩) .
- السجستاني - (أبو حاتم سهل بن محمد ، الموفى حوالي سنة ٢٥٠) .
المعمرون والوصايا . تح . عبد المنعم عامر . القاهرة (دار إحياء الكتب
العربية - عيسى الباي) ١٩٦١ .

- الشايب — (أحمد) ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . القاهرة
(ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ (كانت الطبعة الأولى ١٩٤٥) .
الصفدي --- (صلاح الدين بن ايك ، المتوفى سنة ٧٦٤) .
نكت الهميان في نكت العميان . وقف على طبعه أحمد زكي بك . القاهرة
(المكتبة التجارية ، المطبعة الجمالية) ١٩١١/١٣٢٩ (أعدت مكتبة المثنى
ببغداد طبعه على الأوفست بطهران ، د . ت) .
الصولي — (أبو بكر محمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٣٥) .
كتاب الأوراق - قسم الشعراء ، غني بشره ج . هيورث دن ، القاهرة ،
(ط ١ ، مطبعة الصاوي) ١٩٣٤ .
الطبري — (أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠) .
تاريخ الأمم والرسل والملوك . تح . دخويه De Goeje ، لندن ١٨٨٩ - ١٩٠١
(أعادت نشره مصوراً على الأوفست مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤) .
العباسي — (عبد الرحيم بن أحمد المتوفى سنة ٩٦٣) .
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . تح . محمد محي الدين عبد الحميد ،
القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٤٧/١٣٦٧ .
عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١) .
دلائل الإعجاز في علم المعاني . صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد
محمود الشنقيطي . القاهرة (ط ٤ ، دار المنار) ١٣٦٧ (كانت الطبعة
الأولى سنة ١٣٤١) .
العسقلاني = (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى سنة ٨٥٢) .
لسان الميزان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر اباد الدكن ،
١٣٣٩ - ١٣٣١ .
تهذيب التهذيب ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٥ .

المسكري - (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥) .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تح . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباي الحلبي) . ١٣٧١ - ١٩٥٢ .

العكبري - (أبو البقاء عبد الله المتوفى سنة ٦١٦) ، ينظر التبيان وابن عدلان .

الفيروزابادي - (مجد الدين محمد بن يعقوب ، المتوفى سنة ٨١٧) .

القاموس المحيط . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٨ - ١٩١٣ .

القاضي الجرجاني - (علي بن عبد العزيز ، المتوفى سنة ٣٦٦) .

الوساطة بين المتني وخصومه . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد

البجاوي (ط ٣ ، دار احياء الكتب العربية - عيسى الباي الحلبي)

(الطبعة اثنانية بتاريخ ١٣٧٠ - ١٩٥١) .

القفطي - (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦) .

إنباه الرواة على أنباه النحاة . تح . محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة

(مطبعة دار الكتب المصرية) ج ١ ، ١٣٦٩ - ١٩٦٠ .

القلقشندي - (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة ٨٢١) .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تح . ابراهيم الاياري . القاهرة

(الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ .

الكندي - (أبو عمر محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٣٥٠) .

ولاية مصر . تح . الدكتور حسين نصار . بيروت (دار صادر - دار بيروت)

١٣٧٩ - ١٩٥٩ .

لسترنج - بلدان الخلافة الاسلامية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس

وكوركيس عواد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي - مطبعة الرابطة)

بغداد ١٣٧٣ - ١٩٥٢ .

اللغوي — (أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، المتوفى سنة ٣٥١) .
مراتب النحويين . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (مكتبة نهضة
مصر ومطبتها) ١٣٧٥ - ١٩٥٥ .

المبرد — (أبو العباس محمد بن يزيد ... المتوفى سنة ٢٨٥) .
الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ج ١ ، تح . زكي مبارك
١٩٣٦/١٣٥٥ ، ج ٢ ، ٣ . تح . أحمد محمد شاكر ١٩٣٧/١٣٥٦
(مطبعة مصطفى الباي الحلبي) .

الفاضل تح . عبد العزيز اليميني (تقرأ المقدمة للتحقق من مؤلف الكتاب)
القاهرة (دار الكتب المصرية - مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٥٦/١٣٧٥ .
حمود مصطفى — (الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، ج ٢ ، ط ٢ ،
(مطبعة مصطفى الباي الحلبي) ١٩٣٧/١٣٥٦) كانت الطبعة الأولى سنة
١٩٣٣/١٣٥٢) .

المرزباني — (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، المتوفى سنة ٣٨٤ أو ٣٨٥) .
الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء . القاهرة (جمعية نشر الكتب العربية -
المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ .
معجم الشعراء .

المرزوقي — (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٤٢١) .
شرح ديوان الحماسة . نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، القاهرة
(ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥١/١٣٧١ -
١٩٥٣ - ١٣٧٢ .

المسمودي — (أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٤٦) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تح . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة
(مطبعة السعادة) ط ٣ ، ١٩٥٨/١٣٧٧ .

- المقرزي — (أبو العباس تقي الدين بن علاء الدين ... المتوفى ٨٤٥) .
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تحقيق Gaston Wiet ، المهد
الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩١٠ .
- الميداني — (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة ٥١٨) .
مجمع الأمثال . تم . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ،
ط ٢ ، ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .
- النوري — (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ... المتوفى سنة ٧٣٢) .
نهاية الأرب في فنون الأدب . القاهرة (دار الكتب المصرية) .
- الوشاء — (أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٢٠) .
الموشى أو الظرف والظرفاء . تم . كمال مصطفى . القاهرة ، ط ٢ (مطبعة
الاعتماد — التزام مكتبة الخانجي) (١٣٧٢ / ١٩٥٣) .
- ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦) .
معجم البلدان . بيروت (دار صادر — دار بيروت) (١٣٧٤ — ١٩٥٥) .
معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة (دار المأمون)
(١٣٥٥ / ١٩٣٦ — ١٣٥٧ / ١٩٣٨) .

الدكتور علي هوراد الطاهر

الرياض — جامعة الرياض



طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٦ -

(المجلد الثاني)

- ٨٦: ٢ الصواب : فلم يستوف كما في اليتيمة والوفيات . والبيت الثاني مثل سائر ، (٤ : ٩/٢٥٩) .
- ٨٦ : ١٤ الصواب : هكذا تزول .
- ٨٧ : ٤ البنية ١٦٠ . وللعروضي هذا كتاب على ديوان المتنبيء كما في الصبح المنبيء ١٣٥٠ هـ ص ١٦١ .
- ٨٨ : ١٩ مسكويه هذا له ترجمة في حكايا القفطي ١٣٢٠ هـ ص ٣٣١ والتمة رقم ٨٣ ، (٥ : ١/٥) .
- ٨٩ : ٨ لمل الصواب ابن العميد أبا الفضل ، (٥ : ١٣/٥) .
- ٩٠ : ٦ البيتان في الإيجاز مصر ٢٢٧ وخاص النخاص ١٦٤ والتمة ٨٣ واليتيمة ٣ : ٧ ، (٥ : ٩/٧) .
- ٩٠ : ١٥ ومن الكلمة بيتان آخران في خاص النخاص ١٦٤ . هذا وفي التمة قبل البيت (ومنها) والصواب كما فيه أعدن ... وردت .
- ٩١ : ٢ التمة : فان تمرّس بي ، وفيه في البيت العاشر والحظ كتابهم ، وفي البيت ١٢ تمظّمه وارى كلها الصواب ، (٥ : ٥/٩) .

- ٦٣١ -

- ١٦:٩١ جاورِئِدَانِ خَيْرَ دُ هَذَا أَصْلُهُ لِلْحَكِيمِ أَوْ شَهْنَجِ الْمَلِكِ تَمَّمَهُ
مَسْكُوبُهُ وَقَدْ طُبِعَتْ أَصْلُهُ فِي مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ بِدِمَشْقَ ١٣٤٧ هـ ١٢٩٥ - ١٣٩
و ١٩٣ - ٢٠٢ ، (١٤/١٠ : ٥) .
- ١٢:٩٢ الصواب : والمستَخَفُ به لكن .
- ٢:٩٤ الصواب : فَنِمَ رائد .
- ٤:٩٦ الصواب : مَلِكَةٌ .
- ٥:٩٦ الصواب : لِيَسْتَعْمَلَ فِي الْمَهْمِ .
- ١٥:٩٦ في كتابه . لم أجده في طبعتي اليتيمة والتممة ، (١٥/١٩ : ٥) .
- ١٧:٩٦ الصواب : والإبداع .
- ١٤:٩٧ الصواب الداهخزا أبي سعد انظر له التتمة رقم ٩٩ والدمية
ص ١٠٦ . والحوالي لا أعرفه وإنما هو جرجاني ، (١٠/٢١ : ٥) .
- ١٥:٩٧ لعله : ثم شوقنا إلى مشاهدة الفضل .
- ٧:٩٨ لعله ولا أبدى بأفق ، (١٢/٢٢ : ٥) .
- ٩:٩٨ الصواب : أن يَجْرُ أولياءه على شوك الرد . فبحق .
- ١٨:٩٨ الصواب : كُتِّبَ الإنشاء .
- ٩:١٠٠ الصواب : والصاد خاء ، يريد الخيانة .
- ١١:١٠٠ الصواب : ويتلوه فاء . يريد السخيف .
- ١:١٠٢ لترجمته حواشي چهار مقاله ٢٤٤ طبعة جيب وورد ذكره
في اليتيمة ٤ : ١٦٥ ، (٦/٣١ : ٥) .
- ٢:١٠٢ مضى في ترجمة الصخري أبو محمد محمود بن أرسلان ،
(٧/٣١ : ٥) .
- ٤:١٠٢ الثغالي . هذا لم أجده في كتابيه اليتيمة والتممة ، (١٠/٣١ : ٥) .
- ٩:١٠٢ لعله : الحسولي في المذهب ، (٤/٣٢ : ٥) .

- ١٠٢ : ١٢ الصواب : من عنان ، (٨ / ٣٢ : ٥) .
- ١٠٣ : ٥ في ذيل أبي شجاع ص الأصل ٤٢٧ غريب بن محمد بن مقن ،
(١٣ / ٣٣ : ٥) .
- ١٠٣ : ٩ لترجمة المرزوقي في البنية ١٥٩ وما إليه .
- ١٠٤ : ٧ لترجمة الثعلبي الوفيات رقم ٢٩ طبقات القراء ٤٦٢ الشذرات
٤٢٧ هـ الشافية ٣ : ٢٣
- ١٠٥ : ٣ الخطيب ٢٢٥١ البنية ١٥٥ الشافية ٣ : ٢٤ ، (٨ / ٣٨ : ٥) .
- ١٠٥ : ٩ الصواب : وكتبت عنه ، (٧ / ٣٩ : ٥) .
- ١٠٥ : ١٤ الصواب : المهدي منسوب إلى المهديّة ترجمته في بنية
الملتس ٣٥٠ .
- ١٠٦ : ٤ لترجمته بنية الملتس ٣٥٤ والمطمح الجواب ٢٤ ، (٣ / ٤١ : ٥) .
- ١٠٦ : ٦ شهيد ككيت .
- ١٠٧ : ٤ لترجمته البنية ١٦٨ .
- ١٠٧ : ١٦ الميداني لترجمته الوفيات رقم ٥٩ البنية ١٥٥ النزهة ٤٦٦
ورأيت خط يده بالقراءة على نسخة من اصلاح المنطق بنور عثمانه ٤٦٩٢
مكتوبة سنة ٣٩٥ هـ ، (١ / ٤٥ : ٥) .
- ١٠٨ : ٢ جامع الأمثال سماه مؤلفه مجمع الأمثال . والسامي طبع ايران
سنة ١٢٧٤ هـ وهو في معنى مقدمة الأدب لازمخشري ، والأفموزج ونزهة
الطرف مطبوعان ، (١ / ٤٦ : ٥) .
- ١٠٨ : ٥ رأيت بخزانة أحمد الثالث ٢٧٨٦ شرح الكلمات المشككة في
الساحي لأبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في ٩٠ ق (٥ / ٤٦ : ٥) .
- ١٠٨ : ١٦ الصواب : محمود بن أبي المعالي الخواري ويأتي في ترجمته الجوهري
أيضاً وترجمته عن ياقوت في البنية ٢٩٠ . وخوار كفراب من أعمال الري .

م (٥)

- ٦: ١٠٩ الصواب: فشاً .
- ٦: ١٠٩ الوفيات: أيا هل ترى صُبْحاً، (٥: ٩/٤٨) .
- ١٩: ١١٠ في خريدة العباد (نسخة فهرست ليدن الثانية ٢: ٢١٨) أنه توفي سنة ٥٣٣ هـ ولذي الفضائل مرثية إلى مضر الطيب كلمان في صوان الحكمة رقم ٨٤، (٥: ٢/٥٢) .
- ١١: ١١١ في مشيخته . وفي الأنساب أيضاً. (٥: ٦/٥٤) .
- ١٦: ١١١ الخليل هذا له ترجمة في التتمة ١٨٥، (٥: ١٣/٥٤) .
- ١٧: ١١١ الصواب: (عن محمود الصوفي) لا غير وهو المذكور آنفاً والصواب في الأنساب، وفيه: عن أبي عبيد الفرغاني، (٥: ١٤/٥٤) .
- ١٨: ١١١ في حدود الحج في البنية ١٦٢ في حدود سنة ٤٦٠ هـ ومات بمرور فجأة يوم الأحد ثامن جمادى الأولى وقيل ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ هـ وفي الأنساب (سنة... وثلاثين وخمسة مائة)، (٥: ١٥/٥٤) .
- ١: ١١٢ البنية ١٦٩ .
- ١٢: ١١٢ المثل في جمهرة العسكري بومباي ٢٧ مصر ١ × ٧٠ والمستقصى والحريري المقامة الـ ٤٧ وطرانز المجالس المجلس ٣١ . وأصل المثل في الجمل . (٥: ١٤/٥٦) .
- ١٥: ١١٢ الصواب: فيحْتَضِينَهُ، (٥: ٤/٥٧) .
- ١٧: ١١٣ عنه البنية ١٥٨ .
- ٩: ١١٤ مطلع قصيدة للمتنبي^٤ والعامل في الظرف (تذكرت) أو (بحر الحج) بدل اشتغال عن (ما بين الحج)، (٥: ١٣/٦٠) .
- ٥: ١١٥ البنية عنه ١٧٠ .
- ١٠: ١١٥ الصواب الحالات فيه مما، (٥: ٣/٦٣) .

- ١١: ١١٥ البغية ١٧٠ عنه .
- ١٦: ١١٥ البغية ١٧١ عنه .
- ١١: ١١٦ الخطيب ٢٥٨٠ طبقات القراء ٦٦٣ الفهرست ٣١ .
- ٦: ١٢٣ هذا الخبر في النشوار ١: ٥٣ وفيه : (بن عميد الله بن قنّاش)
وأبو جعفر هو الذي أخبر صاحب النشوار . وفيه خبر آخر للبنص في مجلس
ابن دريد رواه أبو جعفر أيضاً . وأما ابن البازيار ففي حلب يوجد درب
البازيار وهو منسوب اليه وهو الزقاق المعروف الآن بزقاق الزهراوي حقه
صديقنا الراغب الطباخ ، (٨/٨٠ : ٥) .
- ٣: ١٢٥ عنه البغية ١٧٢ .
- ١٤: ١٢٦ الصواب: خادمته وانخداع المرأة الخادمة كالحامل ، (١٠/٨٧: ٥) .
- ٣: ١٢٧ ابن عساكر ٢: ١٠٩ الفهرست ١١٣ الفوات ١ × ٨ .
- ٤: ١٢٧ الفهرست وابن عساكر : وقيل أبو جعفر بدل (أبو بكر) ،
(٢/٨٩ : ٥) .
- ٥: ١٢٨ ضرطة وهب مثل انظر ثمار القلوب ١٦٤ وفيه كتاب لابن
الرومي وأبي علي البصير وغيرهما أيضاً ، (١٣/٩٢ : ٥) .
- ٨: ١٢٨ عبدان النصراني أخو صاعد أو عبدون كما سيأتي .
- ١٤: ١٢٩ الصواب : عليك من الزمان . كما في الفوات ، (١٢/٩٥ : ٥) .
- ٨: ١٣٠ الصواب : عيِّ وخيب ، (٤/٩٧ : ٥) .
- ١١: ١٣٠ اضل من دليل . بمافات مجاميع الأمثال ، (٩/٩٧ : ٥) .
- ١: ١٣١ الصواب : حتوفها ، (١٠/٩٨ : ٥) .
- ٣: ١٣١ الصواب : لذادة أيام . ابن عساكر .
- ٤: ١٣١ المرزباني قلت وعنه ابن عساكر أيضاً ، (١/٩٩ : ٥) .
- ٥: ١٣١ الصواب : ما من ، (٣/٩٩ : ٥) .

- ١٣١ : ١٣١ مجمل انساب الأشراف وأخبارهم هذا هو اسم الكتاب كما ثبت بآخر نسخة عاشر رقم ٥٩٧ منه وهي النسخة الفريدة ، (١٥/٩٩ : ٥) .
- ١٣٢ : ١٠ الصواب : ولم يفعل ، (٩/١٠١ : ٥) .
- ١٣٢ : ١٤ الصواب : بالرُّشا .
- ١٣٣ : ١ الفهرست ٧٤ أصل الزبيدي ٩٩ الخطيب ٢٦٨١ المروج (المكتفي) تذكرة الذهبي ٢ : ٢١٤ الوفيات رقم ٤١ النزهة ٢٩٣ البنية ١٧٢ أصل مراتب النحويين ١٥٥ القراء ٦٩٢ المنتظم ج ٦ رقم ٦٢ .
- والصواب : يحيى بن زيد بن سيَّار ، (١٠/١٠٢ : ٥) .
- ١٣٣ : ٨ الزبيدي : على ابنة ابنته وكذا المسعودي ، (٤/١٠٥ : ٥) .
- ١٣٣ : ١٩ الصواب : لصممه .
- ١٣٤ : ١٩ الصواب : من باب كما في الفهرست والوفيات والزبيدي .
- ١٣٥ : ٦ الصواب : ابن سَلَم . الزبيدي ، (١٠/١٠٩ : ٥) .
- ١٣٥ : ١٦ مجلسه مع الريثي في مجالس أبي مسلم ، (١٠/١١٠ : ٥) .
- ١٣٦ : ٢ المجالس : إنما أُصير إليك لهذه المقطعات والخرافات يروى بزلُّ عين وبازل وبازل الح وهو الصواب ، (١/١١١ : ٥) .
- ١٣٦ : ٧ خبر المجلس في المجالس والزبيدي وعنه الأشباه ٣ : ٢٢ قال الطوسي ٨ ب قالوا أراد خطاطان وأنشد لأبي دؤاد :
- ومتنان خطاطان كزحلوفاً من الهضب
- ومثله في شرح خرابنداد ، (١١١ : ٥) .
- ١٣٦ : ١٣ الصواب : في خطاطا الاضافة ، (١/١١٢ : ٥) .
- ١٣٦ : ١٦ الصواب : ظريفي ، (٦/١١٢ : ٥) .
- ١٣٧ : ١ الصواب : عبيد الله ، (٩/١١٢ : ٥) .
- ١٣٧ : ٣ الصواب : ظريفي ، (١٢/١١٢ : ٥) .

- ١٣٧ : ٦ أخيك ، مجارة للعامة ولم يكن ثعلب يتكلف الإعراب ،
 . (٢ / ١١٣ : ٥) .
- ١٣٧ : ١٢ كذا الفهرست ٦٧ ووصفه ابن خلكان وقد وقف عليه في
 ترجمة الفراء وسماه البهاء ، هذا ورأيت بجزارة نور عثمانية رقم مجموعة ٤٨٨٤
 يتلوه ما تلحن فيه العوام للكسائي مرتباً وهذه مسوِّدة المرتب نفسه وعليه
 أنه يسمى بالبي . وفي فهرست ابن خير ٣١١ ان كتاب البي في النحو
 للفراء قال وهو ما تلحن فيه العوام ، (١١ / ١١٣ : ٥) .
- ١٣٧ : ١٣ طبع المذكر والمؤنث بجلب ١٣٤٣ هـ ولم أجد هذا الكلام فيه .
 . (١٣ / ١١٣ : ٥) .
- ١٣٧ : ١٧ الصواب : لأن لا التبرئة .
- ١٣٨ : ١ البيت لا يوجد في طبعة ديوانه وانظر ما أصل (وعنها)
 والصواب : بيض الحدود ، (١٠ / ١١٤ : ٥) .
- ١٣٨ : ٥ الصواب : للشباب .
- ١٣٩ : ٦ (إلا من بذل الوجه) لا غبار عليه .
- ١٣٩ : ١٥ فنقوم له . كذا ولعله فنقوم لأن ابن فارس لم يدرك أبا العباس ،
 . (٩ / ١١٧ : ٥) .
- ١٣٩ : ١٦ ابن العلاف هو الحسن بن علي والأبيات في المنتظم ج ٦ رقم ١١ ،
 . (١١ / ١١٧ : ٥) .
- ١٤٠ : ٨ قال وكان ثعلب الخ هذا الكلام لم أجده في المراتب ،
 . (٧ / ١١٩ : ٥) .
- ١٤١ : ٤ وكان متبحراً الخ . لفظ الزبيدي (ولم يكن يعلم مذهب
 البصريين ولا مستخرجاً الخ) . (٦ / ١٢٠ : ٥) .
- ١٤١ : ٦ الصواب : لم يُفترق ، (٩ / ١٢٠ : ٥) .

- ١٤١ : ١٧ ولو أخذ لك الخ لفظ الزبيدي فلو أخذت رطلاً من لحم فأصلحت لك منه "قديرة" لكان أصلح فقال رطل لحم الخ ومنه تعرفت السقط ، (١١/١٢١ : ٥) .
- ١٤٢ : ٦ الصواب : الأدب وكنا . والأبيات تسعة أنشدها الخطيب ، (٧/١٢٢ : ٥) .
- ١٤٢ : ٧ الخطيب : العلم لا "تمهّلن" وأراه وجه الكلام ، (٨/١٢٢ : ٥) .
- ١٤٢ : ١٤ من خمسة أبيات في الحماسة بون ١٤٠ بولاق ١ : ١٥١ لاسحق بن خلف البهراني .
- ١٤٢ : ١٥ الصواب : أكرم "تزال" .
- ١٤٢ : ١٧ الصواب : أميمة تهوى .
- ١٤٣ : ١٨ الأبيات في المتظم ج ٦ رقم ٧٥ ، (٤/١٢٥ : ٥) .
- ١٤٤ : ١٣ الصواب : السميد .
- ١٤٥ : ١٠ الصواب : أبو أحمد العسكري وهذا في أصل الدار من التصحيف ٢١ ب ومن المطبوع ص ٢٦ وبيت الأعشى في ديوانه صنعة ثعلب قصيدة ١٥ بيت ٣٢ ، (٦/١٢٨ : ٥) .
- ١٤٥ : ١٨ الأولان في القالي ٢ : ٩٤ وروايته يفغل ساعة وروى الخطيب يفغل مامضى ، (٣/١٢٩ : ٥) .
- ١٤٦ : ٥ الخطيب : إلى أن تكلف عذرا ، (١١/١٢٩ : ٥) .
- ١٤٦ : ١٤ الصواب : نذلاً .
- ١٤٦ : ١٤ الخبر الآتي في مجالس أبي مسلم كاتب الوزير ابن حنزابة ، (١/١٣١ : ٥) .
- ١٤٧ : ٢ الصواب : يقوم مترجماً .

- ١٤٧ : ٩ الصواب : ثَبَّجَ بحر . عن المجالس . والخبر الآتي عن الزجاجة في أماليه ٣٨ وعنه المعاهد ١ × ١٩ ، (٥ / ١٣٢ : ٥) .
- ١٤٧ : ١٩ الأبيات في نسخة مختصر طبقات المحدثين لابن الممتز (انظر في المطبوع الحواشي ص ٣٧) لمحمد بن أحمد الصيني ، (٥ / ١٣٣ : ٥) .
- ١٤٨ : ١ الزجاجة : وكم كتبها .
- ١٤٨ : ٢ الزجاجة : فراق آتاهما ، (١٠ / ١٣٣ : ٥) .
- ١٤٨ : ٨ الصواب : على تَرَح .
- ١٤٨ : ١٠ البيت ينسب في شواهد علم المعاني (المعاهد ١ : ١٩) إلى العباس بن الأحنف وليس في ديوانه ، (٧ / ١٣٤ : ٥) .
- ١٤٨ : ١٩ من حفظي :
- أعاذلتنا أقصري أبعُ جِدَّتِيْ بالثمن
أرى الناسَ أهدوثة فكوني حديثاً حسن
- (٦ / ١٣٥ : ٥)
- ١٤٩ : ٢ المنتظم : بن محمد ، (٩ / ١٣٥ : ٥) .
- ١٤٩ : ١٥ و ١٦ الرواية وهي الصواب : شاتمي . ولاحتقاري له .
- ١٥٠ : ١١ الخطيب : يُعَايِشُنَ بالقضبان ، وهو الصواب ، (٨ / ١٣٨ : ٥) .
- ١٥٠ : ١٣ الخطيب : ولا استقبلتُ برْدَ .
- ١٥١ : ٤ الخطيب فالحمد .
- ١٥١ : ٧ الصواب : بن زيد بن سيَّارٍ ثعلبٌ ، (٤ / ١٤٠ : ٥) .
- ١٥١ : ٨ المعايير وكذا الخطيب والله أعلم .
- ١٥٢ : ٥ الخطيب : بالعلم باعشا ، (٣ / ١٤٢ : ٥) .
- ١٥٢ : ١٨ الصواب : مايجري وما لايجري ، (١٤ / ١٤٣ : ٥) .
- ١٥٣ : ٣ الحسن بن داود الخ ، زاد البنية وقيل ليعقوب ، (٤ / ١٤٤ : ٥) .

- ١٥٣ : ٤ الصواب : وأمالي . ومجالس ثعلب هذا لا أعرف منه إلا نسخة الدار وهي مفسولة مطموسة ، (٥ : ١٤٤ / ٦) .
- ١٥٣ : ٧ كالأعشى ، هذا الديوان صنعة ثعلب ، (٥ : ١٤٤ / ٩) .
- ١٥٣ : ١٣ الصواب : أبي بكر محمد ، (٥ : ١٤٥ / ٧) .
- ١٥٣ : ١٥ الصواب : فكم تلبث . من الوفيات ، (٥ : ١٤٥ / ١٠) .
- ١٥٤ : ٧ ترجمته في الفهرست (تابع ص ١٧٢) نسخة تونك وعداده في المتكلمين ومن المطبوع ١٤٣ والخطيب ٢٦٨٨ عن المرزباني .
- ١٥٤ : ١٢ في ذي الحجة . ذكر نديمه الصولي في أخبار الرازي ١٣٧ أنه توفي في ذي القعدة . وفي الخطيب وقد جاوز التسعين وأراه تصحيحاً وإذا كان مولده سنة ٢٦٢ هـ فإنه لم يزد على ٦٦ سنة ولم يجاوز السبعين ولا التسعين .
- ١٥٥ : ٤ الشافيه ١ × ٢٢٣ البنية ١٧٤ ، (٥ : ١٥٠ / ١) .
- ١٥٥ : ٥ لعله مولى كيسبة والصواب (يكنى أبا عبد الله روى عن شعيب بن الليث وعبد الله بن وهب) ، (٥ : ١٤٩ / ٢) .
- ١٥٥ : ١٠ (ذكر ابن يونس) لا غبار عليه .
- ١٥٥ : ١١ تاريخ دمشق ٢ : ١٠٩ البنية ١٧٢ وفيها (بن السري الطائي) ، (٥ : ١٥٠ / ٤) .
- ١٥٥ : ١٩ الأبيات تسعة تتكرر ٦ : ٢٨٩ وهناك (عندي حزينه) ، (٥ : ١٥١ / ٤) .
- ١٥٦ : ١ هناك : اجمع من عند الرواة ، (٥ : ١٥١ / ٦) .
- ١٥٦ : ٤ الصواب : أغالٍ بحذف الياء ، (٥ : ١٥١ / ١١) .
- ١٥٦ : ٩ الخطيب ٢٧٠٥ التزهة ٣٦٥ البنية ١٧٥ ، (٥ : ١٥٢ / ٨) .
- ١٥٦ : ١٣ البنية ١٧٥ .

- ١٥٧ : ٢ ثبت في التنف المجموعة بأخر بلدانه من ٣٧٢ أنه كان
حياً سنة ٣٩٢ هـ والمطبوع من مؤلفاته التاريخ والبلدان ، (٥ : ١٥٤ / ٦) .
- ١٥٩ : ٩ الصواب : أموة ابن الأرقط .
- ١٦٠ : ٤ الصواب : كتاب ترجمته كتاب الثمرة ، (٥ : ١٦٠ / ٤) .
- ١٦٠ : ٦ الصواب : ابن زولاق ، مؤرخ مصر المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .
- ١٦٠ : ١٢ الأغاني ٢٠ × ٥٦ كتاب بغداد ٢٣٤ الخطيب ٢٦٩٢ ابن عساكر
٢ × ١٢١ الأوراق (الشعراء) ١٤٣ و ٢٠٦ لأخبار عائلته وأشعارهم ،
(١ / ١٦١ : ٥) .
- ١٦٠ : ١٣ الصواب : العجلي أبو جعفر (بالولاء) ، (٥ : ١٦١ / ٢) .
- ١٦٠ : ١٦ قول الصولي في الأوراق الشعراء ٢٣٦ ، (٥ : ١٦٢ / ٢) .
- ١٦١ : ١٢ الألف كذا وانظر .
- ١٦٢ : ٣ الصواب : كيف أتت من الأوراق وغيره .
- ١٦٢ : ٦ الصواب : بن نايقا . وله ترجمة في الوفيات رقم ٣١٧
وهو صاحب المقامات وطبعة صاحبنا الأستاذ رش ر ، (٥ : ١٦٥ / ٣) .
- ١٦٣ : ٦ الصواب : أريد اخصر .
- ١٦٤ : ١ الجهشيارى ٣٨٥ ، (٥ : ١٧٠ / ٥) .
- ١٦٦ : ٣ الجهشيارى ١٤٨ ، (٥ : ١٧٢ / ١١) .
- ١٦٦ : ١٤ الجهشيارى : فلما صرت إلى باب الإيوان ، (٥ : ١٧٣ / ١٣) .
- ١٦٦ : ١٦ الصواب كما في الجهشيارى أيضاً (وقرِّج) كما هنا لا غير .
- ١٦٦ : ١٨ الصواب عند الجهشيارى : فقال لي كأنني بك يا يوسف
وأنت تقول ، (٥ : ١٧٤ / ٥) .

عبد العزيز الميمني

(يتبع)



الخراج والنظام الضرائبي

في مصر الاموية

لا بد لكل دارس لكتب الخراج أن يخرج بنظرة عميقة للأسس التي وضعها الفقهاء مسترشدين بالروايات السلفية التي تناولت النظام المتبع في فرض الخراج وغيره من ضروب الالتزامات المالية غير أن الوثائق الخراجية والسجلات التي عثر عليها تبدو متضاربة مع أسس كتب الخراج ، غير أن تلك الأسس التي وصلت إلينا من خلال كتب الخراج والأدب الفقهي لم تكن لتطبق على علتها وبخذافيرها ، لأنها كانت تجانب روح التشريع وعدالة الإسلام ، وهناك كثير من الشواهد التي تثبت واقع الحال هذا وتخالف الأسس الخراجية الفقهية ، لأن تطبيقها يخالف روح التشريع ومبدأه الذي وضع بدون تخصيص بل كبدأ عام . ان الحياة قد اتبعت منهجاً عادلاً يطابق الغرض من روح التشريع متفهماً واقع الحياة والظروف المحيطة به ، لذلك كثيراً ما نجد أنها غير متمسكة بهذه الأسس ولا تطبقها ، لأنها تنزل الإجحاف والضرر بالعامه ، فالقول بفرض ضريبة معينة ثابتة على أرض محددة ، أمر يستحيل تطبيقه لعدم عدالته ، بل نجد هناك اعتبارات لم يتناولها الشرع عند وضعه هذا المقياس العام . لذلك كانت الضرائب تفرض حسب مقتضى الحال والظروف الملائمة ، وتجي بالتعديل وطبقاً للاصطلاح الفقهي السلفي « عفو - فضل - طاقة » .

ولما كان العرب في أول عهدهم بمصر ليست لديهم الدراية التامة بأحوال أهل البلاد التي سادتها فترة من الاقمار والسلب والنهب قبل الفتح الإسلامي ،

فقد رؤي أن يطبق ما جرى به العرف سابقاً من نظم ضرائبية إن كانت في صالح البلاد. وكلنا يذكر المحاولات التي دارت بين الفاروق عمر «رض» وعمرو بن العاص وما كنا نقبل رضاء عمر بن الخطاب على رد عمرو بن العاص بعد حدةٍ في طلب خراج عال وتمل عمرو ، لولا أن الأمر كان يهدف إلى مصلحة أهل البلاد ولا يرهق كاهلهم . ومنذ تلك الفترة وضعت الأسس التي طبقت في الجباية وأُدخِلَ في اعتبارها ما جرى به العرف من نظم ضرائبية سابقة ، مفيدة لأهل البلاد ، لذلك لم تطبق الأسس الخراجية الفقيية ، إذ لو تم ذلك لكان مجافياً لروح العدل متجاهلاً حقيقة الدور الذي يلعبه النقد وصلته بالأسمار وقيمته الواقعية وقوته الشرائية إذ أن الأسس هذه لم تكن ثابتة بل متكيفة مع الظروف ، ففرض دينار في وقت رخاء واستقرار ، أمر سهل ، بينما دانت في عسر وغلاء يعتبر عبثاً ثقيل كاهل دافعه .

وتثبت الوثائق الخراجية والإدارية التي عثر عليها في مصر ، بأن الإدارة الأموية لم تقيّد بأصول فقه الخراج ، وإنما تفهمت الواقع الناشئ عن وجوب معاملة الخراج بروح المنطق والواقع ، لذلك أبت الدولة الإسلامية الناشئة على النظم المعمول بها في الأمصار بعد أن كيّفتها بالروح العربية الاخلاق العادلة . واستمر الحال بهذا النظام إلى أن عربت الدواوين في نهاية عهد الدولة الأموية . وأصبح للنظام الخراجي آدابه المعمول بها والتي استمرت إلى أوائل حكم آل عثمان .

ولقد خدمت الوثائق الخراجية الإسلامية التي عثر عليها في مصر تاريخ الإدارة الرومية لمصر أعظم الخدمات ، إذ أنها أكملت الفجوات الواسعة غير المترابطة للنظام الإداري ، لأن الوثائق الرومية لم تستطع أن تقدم الأسس التي يمكن أن تسهم في تخطيط هذا النظام .

وجلّ هذه الوثائق محرر إما باليونانية أو القبطية ونادراً ما كانت بالعربية ، ولقد حفظت لنا الاصطلاحات الإدارية الرومية بنصّها ، وهذا ما ساعد على تقديم صورة واضحة للنظام الضرائبي الرومي في مصر ، من خلال الإدارة الإسلامية ، وكما ساعد على تقديم أجل الخدمات للتاريخ الرومي ، التي لم تستطع مراجعته ومستنداته تقديمه .

ولقد بينت لنا رواية منقولة عن عمرو بن العاص المنهاج الذي اتبعه في جباية الخراج بمصر ، وهي قد أيدت الأسس التي اتبعت في الجباية متجاهلة القيود الفقهية التي تبدو في بعض الأحيان مجحفة بأهل البلاد ، كما أنها صورت النظام الرومي الضرائبي بصورة واضحة ، ولكن بعد أن كيفته بالروح الإسلامية المادلة . إذ يقول ابن عبد الحكم « أقرّ القبط على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتمديد .. فجمع عرفاء كل قرية ومأزونها [Maizones] ورؤساء أهلها فيتناظرون في العهارة والخراب حتى إذا أقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع . ثم يرجع سكان كل قرية بقسمهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة ... فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحمائمهم ومعدياتهم من جملة الأرض ثم يخرج منها عدد ضيافة المسامين ونزول السلطان ، فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصناعات والأجراة فقسّموا عليهم نصيبهم بقدر احتمالهم ، فإن كانت فيهم حالية (جزية) قسّموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تشمل الجميع ما عدا الرجل المنتاب أو المتزوج ، ثم ينظرون في ما بقي من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ... »

هذا هو الأساس الذي وضع إجمالاً في فرض الخراج وغيره من الإلتزامات المالية ، وهو لا يتفق مع تفاصيل الأسس التي وضعها فقه الخراج إلا من حيث روحه العادلة ، كما أنه لا يتفق مع تفاصيل الجباية الرومية التي لم تتسم بالعدل .

إن الضرائب التي اصطلح على تسميتها بالخراج كانت تجبي من أهل الذمة ومن هؤلاء الساميين الذين كانوا يمتلكون أرضاً خراجية ، والتي عوملت نفس معاملة الأرض الخراجية ، وليس بالمشرية كما كان يتم في سواد العراق التي انتقلت إلى أرض عشيّة في منتصف الدولة الأموية بسبب الهبات والإقطاعات التي منحت لرجال الدولة .

والجباية في مصر كانت تجمع بنوعها النقدي والعيني . وكانت بنوعها خاضعة لتقسيم آخر هو ضرائب عامة أطلق عليها Puplicus وضرائب غير عادية أطلق عليها Extraordina .

والضرائب العامة التي تقابل في اصطلاحنا الخراج كانت تجبي في شكلين أولهما نقدي وثانيها عيني أي ضريبة القمح الرومانية والسماة Embola (١) . والضريبة العامة كانت تتضمن أيضاً ثلاثة أنواع من الضرائب . أولها : خراج الأرض ، والثاني جزية الرأس أو الجالية ، وثالثها ما يسمى باليونانية Dapani (٢) وكان النوع الأول أي خراج الأرض ذا أهمية كبرى لأنه

(١) أم المراجع المستخدمة هي مجموعات أوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني ودار الكتب المصرية واختصارات الكتب هذه كالتالي :

Greek Papyri in the British Museum = متحف بريطاني

Arabic Papyri in the Egyptian Library = دار الكتب

متحف بريطاني بـ ١٤١٢ ، ١٤٣٠ سجل الخراج ودار الكتب بـ ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ج ٢ ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٢) راجع متحف بريطاني سجل الخراج .

مصدر ضرائبي هام كان مخصصاً لدفع المعاشات (طعام المسلمين) ومصاريف حياة الضرائب والإدارة المحلية (١)، أما الجزية فكانت تجبي فقط من الرجال البالغين وطبقاً لشروط قدمتها لنا آداب الخراج (٢).

وخراج الأرض «Dimosia» كان يفرض فقط على كل مالك لأرض أو مستنقع بصرف النظر عن كونه رجلاً أو امرأة. وتبين لنا الوثائق الخراجية بأن هناك فئات كانت تدخل تحت هذا النوع من الضرائب التجارية إلا أنها كانت تسجل في سجلات الخراج تحت اسم ضريبة الأرض dimosia (٣) وهي لا تخضع في شكلها إلى ضريبة جزية الرأس ولكنها كانت تلحق بالخراج. إن المشور الإسلامية التي أوضحها لنا كتب الخراج، لم تكن سائدة من عهد رسول الله ﷺ إذ إن الوثائق غير كافية لكي نحكم بعكس ذلك، ولكنها بدأت تجبي بشكل واضح في عهد الخلفاء الراشدين، وقد طبقت على أهل الذمة بمقاييس تختلف عن المقاييس التي كان يخضع لها المسلم، والتي كانت تدعى بالزكاة، وهي من أركان دينه. غير أن المشور أصبحت ضريبة خراجية تجبي من المسلم والذمي والحربي، يدفعها المسلم كزكاة بنسبة ٢,٥٪ والذمي بنسبة نصف العشر ٥٪ وآخرون مثل الحربي المتردد على دار الإسلام والذمي في بعض الحالات بنسبة العشر ١٠٪ (٤) هذه الضريبة كانت تدفع في مصر تحت أسماء متعددة وطبقاً لمقتضى الحال المهني وطبيعته.

(١) متحف بريطاني ١٤١٩.

(٢) Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library.

Vol. II P. 322.

(٣) متحف بريطاني، ١٤١٩ - ١٢١٥ وابن عبد الحكم. ص ١٥٢.

دار الكتب، ٢١٤ جزء ٣ ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

(٤) أبو يوسف ص ١٣٣ كتاب الخراج والسيرقندي، ج ١ ص ٤٨٨.

وتظهر لنا الوثائق الخراجية بأن ضريبة القمح Embola وهي جزء هام من خراج الأرض (Dimosia) تختلف قليلاً عن مثلتها في العهد الرومي، وكانت في الأصل تفرض على الأرض غير أنها كانت تفرض أحياناً على بعض الأشخاص الذين لا يمتلكون أرضاً^(١)، مثال ذلك الراعي الذي لا أرض له فإنه كان يدفع ضريبة القمح Embola ونظراً لأنه لا ينتج قمحاً، فإنه كان يدفع ٣ قراريط سنوياً كضريبة إن لم يستطع تقديم القمح وذلك تحت بند الخراج (Dimosion)^(٢)، ومن حالات أخرى نجد أن ضريبة خراج الأرض كانت تدفع تحت اسم Dimosion، ولما كانت الأرض لا تنتج قمحاً فإن ضريبة القمح العينية كانت تعتبر وكأنها مقابلة لنفس الضريبة التي تدفعها أرض غير مزروعة^(٣)، وبأنها تدفع عينياً وليس نقدياً... ورغم أن الضريبة عينية، فإننا نجد أحياناً أنها كانت تستبدل ضريبة نقدية، غير أن الإدارة المركزية في دمشق لم تكن تشجع على هذا الاستبدال بقدر المستطاع. ومن الظن بأن الدفع النقدي قد يعتبر كضريبة القمح Embola ولكن لا يمكن اعتباره كضريبة خراج الأرض رغم أن ذلك ليس بمؤكد^(٤). ويظهر من المستندات الضرائبية بأن ضريبة القمح العينية كانت تتنوع في كميتها وتختلف من وقت لآخر، خلافاً للضريبة النقدية الذهبية التي كانت باستمرار ثابتة.

(١) ذكرهم ابن عبد الحكم بالصناع والأجراء.

(٢) متحف بريطاني ١٤٢٦، P. Ryland، ١٨٨، ودار الكتب، ١٩٦، ٢١٢، ٢٣٣، ٢٣٥ وقد ذكرت البرديات هذه نوع الضريبة كضريبة الراعي وكذلك كالمروج تبعاً لبرديات ٩٩، ١٦٣. وقد ذكر السمرقندي ص ٤٩٧ في تحفة الفقهاء بأن الأرض المهجورة تدفع الخراج لأن السبب هو عدم الرغبة في الزراعة. هذا بينما أكد أبو يوسف على أمر جباية ضرائب الراعي والمروج.

(٣) متحف بريطاني ١٤٢٨.

(٤) متحف بريطاني ١٤٣٤.

وقد اصطاحت كتب الخراج على تسمية هذا النوع باسم خراج المراعي (١). وكانت هذه الضريبة المينية تجبي من خراج الأرض من القمح والشعير غير أن الشعير كان يجبي بكميات قليلة ، وكان لهذا النوع من الضرائب موظف سمي Embolarchis (٢).

وكانت ضريبة الخراج العامة Publicus تجمع عدداً آخر من الضرائب إلى جانب خراج الأرض « Demosia » وهذه الضرائب يمكن اعتبارها ضرائب غير عادية « Extraordina » (٣)، وقد أصبحت هذه الضرائب الاستثنائية ذات شكل ثابت تكاد تجبي ، وصارت تذكر في سجلات الخراج بشكل يجعلها من ضمن الضرائب العادية (٤). وإلى جانب هذه الضريبة نجد ضريبة أخرى غير عادية أُطلق عليها Tetartia وهي تشبه مثلتها الرومية Prosdiasraphomina التي كانت تجبي كضريبة مالية قرطاسية (٥) وهي لتغطية المصاريف العامة مثل معاشات الموظفين والحامية العربية ، وكمؤنة للصناع وللأعمال البحرية ، ومصاريف إنشاء المباني العامة الخ (٦) ، وكما

- (١) أبو يوسف ص ٨٨ ، ١٠٣ .
 (٢) متحف بريطاني ١٤٤١ ، دار الكتب . ج ٣ ، ص ٦٢ وعن الموظف المختص بهذه الضريبة راجع متحف بريطاني جزء ٤ مقدمة ص ١٦ وبردبة ١٤٥٧ .
 (٣) متحف بريطاني ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤٧٠ .
 (٤) « بريطاني ١٤١٤ و Karabaek. Wzkm, XI P. 14
 وبتعدد اخطارات الدفع راجع Collection of the Papyrus Erzherzog
 دار الكتب ١٤٥ ، ٢٣٥ Rainer, Wien, p. 3628
 (٥) متحف بريطاني ١٤١٤ .
 (٦) « بريطاني ١٣٦٢ حيث طالبت البردية صاحب الكورة بتقديم جذوع النخل اللازمة للمباني العامة برديات ١٣٦٨ ، ١٣٨٠ بينما تطالب البردية ١٣٦٨ بإرسال سلاسل حديدية إلى مسجد دمشق . وتطالب بردبة دار الكتب رقم ١٤٨ بإرسال « ثمن رزق الأمير وحاشيته وعمله » .

يظهر فإن هذه الضريبة لم تكن محددة وثابتة ، فطوراً كانت تدفع عينياً ، وأخرى تقديماً (١) .

وإلى جانب ذلك نجد بأن السلطات المركزية كانت تطلب من دافعي الضرائب بعضاً من الخدمات الشخصية في كافة الميادين ، وتلقي طريقة تقدير وفرض هذه الخدمات الضوء على وسائل جمعها وأدائها .

ومن الواضح أن هذه الخدمات تشبه مثلها في العهد الرومي وهي تختلف كثيراً عن الخراج والجزية ، غير أن طريقة الفرض والأداء كانت واحدة من حيث المبدأ مثل مقابلها في الدولة الرومية .

ونجد أن رجال الفقه الإسلامي لا يتفقون في الرأي مع هذا النوع من الخدمات ولا يقرون باعتبارها الحالي كخراج أو جزية ، بل هم نددوا بها وحذروا الولاة والعمال من طلبها من أهل البلاد . ولكن هذا النوع لم يُفرض من قبل الحكومة المركزية بدمشق بل عن طريق رجال الإدارة المحلية .

وكانت واجبات الإدارة المحلية الاحتفاظ بسجل عن كل كورة (٢) مقيد بها أسماء جميع واضي الضرائب ومساحة الأرض المملوكة ، وبالقيمة الخراجية المحملة عليهم ، وكذلك بقوائم منفصلة عن الأراضي وإنتاجها (٣) فإننا لنجد بها بياناً بأنواع الأشجار والنباتات التي تقدم محصولات زراعية مثل النخيل والسنت (٤) بشكل دقيق ومفصل مع ذكر الإنتاج وكميته (٥)

(١) متحف بريطاني ١٤١٤ .

(٢) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ ، ودار الكتب ٢٠٠ - ٣١٤ .

(٣) ما سبق وبردبة ١٠٣٩ .

(٤) دار الكتب ١٦٣ .

(٥) متحف بريطاني ١٦٣١ . (٦) م

والغريب أن أرباب الحرف والصناع قد قيّدوا في هذا السجل مع ذكر أنواع مههم وعدد مساعديهم وصبيانهم (١) وكان هناك مسئولون عن هذه السجلات كل منهم له تخصيصه في نوع العمل ، وكان على رأس هؤلاء المأزون Meizonos (٢). وهذه السجلات كانت تبين مقدار الجباية المطلوبة ، وما قد جبي بالفعل منها على أقساط ومقدار كل قسط .

ولقد كان من حق أي دافع للضرائب أو أي كورة أن يتقدم بالشكوى مباشرة إلى الوالي ، إذا ما فرضت عليهم ضريبة باهظة . وعلى أساس سجلات الخراج فإن الحصة السنوية المحددة من الضرائب كانت تقسم إلى بنديها العادي والاستثنائي ، وبذلك يسهل عمل صاحب الكورة في جمعها ، وكانت توزع بعد ذلك أنصبة وحصص كل قرية أو أي وحدة إدارية طبقاً لهذه السجلات . وكانت عملية تقسيم الضرائب وتوزيعها إلى حصص وفرضها تتم على أيدي موظفي الخزانة المركزية بالفسطاط (بيت المال) وليس في الكورة نفسها . وتبين هذه الظاهرة بأن السجلات كانت تحمل بانتظام إلى المركز الرئيسي (٣) حيث تراجع مراجعة دقيقة ، وذلك حتى لا يقع صاحب الكورة في الأخطاء أو في عدم العدل في توزيع هذه الضرائب على السكان ، وكان موظفو الكورة مسئولين مباشرة أمام الإدارة المركزية ، وعليهم مراجعتها باستمرار (٤) .

وكان في الإمكان تأجيل دفع الحصة المعروضة من عام إلى آخر ، إذا كانت هناك دواع وأسباب إلى ذلك ، ولكن بشرط أن تبقى هذه الحصة

(١) الهامش السابق .

(٢) متحف بريطاني ١٣٥٦ .

(٣) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ .

(٤) « بريطاني ١٢٣٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٤٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٧٠ ، ١٤٢٧ الخ .

المفروضة في حدود قيمتها وكميتها المطلوبة من قبل ورغم أن الحصص المفروضة كانت محددة ، غير أن الجباية لم تكن تلقائية وحررة ، بل نجد أن الوالي كان هو الذي يحدد النسبة التي يجمعها الجابي ، وكانت الضرائب تجمع على دفتين سنوياً ، وكل دفعة كانت تقسط إلى قسطين أو أكثر (١) وكان متولي الخزانة المركزية يقوم سنوياً بحساب المبالغ المطلوبة من كل كورة أو جهة إدارية ، وبمقتضى هذا فإن الوالي كان يرسل بأوامر الجباية المطلوبة من كل كورة ، مبيناً لصاحب الكورة التوزيع للحصص المكاف بجمعها من كل وحدة ، أو قرية ، وذلك حسب أمر الجباية ، في الوقت الذي يوجه فيه إلى أهل المنطقة إشعاراً مبيناً فيه المبالغ المفروضة عليهم (٢) وحالما يتلقى السكان هذا الإشعار فإنه يتم اختيار بعض العرفاء Epilegomai حسب الطريقة المستخدمة في انتخاب حياة الضرائب (٣) ، فيقومون بتقسيم الحصة المطلوبة على أهل المنطقة ، وتقدير نصيب كل فرد منهم ، وهم بدون شك يعتمدون في ذلك على سجلات النفوس وحصرها Katasraphon .

أما أمر الجباية الذي يصدره الوالي فكان يشمل عادة على الضرائب المطلوبة كالتخراج وضريبة التمتع ، ويبقى على فاضي الحصص هؤلاء توزيع المبلغ الإجمالي للتخراج والجزية ومصاريف الحكومة Depani على حصص صغيرة ، فيقررون من الذي سيدفع كل ضريبة ومقدار القسط المطلوب جبايته من كل واحد منهم (٤) ولهم الحق كذلك في فرض المقدار الذي يدفع عن كل نوع من الأرض المزروعة ، مع تعيين الأفراد Ovoma الذين يفرض عليهم دفع ضريبة ما .

(١) متحف بريطاني ١٥٧٠ .

(٢) « بريطاني ١٥٧٠ .

(٣) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

(٤) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

ومما لا شك فيه أن كل ذلك يتم على أساس سجلات حصر النفوس التي تراجع بشكل دوري (١) وفي حالة وجود بواق للضرائب لا تعرف طريقة فرضها ، فإنه يحتم الرجوع إلى الإدارة المركزية في شأنها . غير أن مصاريف الإدارة المحلية يكون الأمر في فرضها وجمعها بيد صاحب الكورة ومساعديه ، بدون الرجوع إلى تعليمات خاصة .

وتظهر الوثائق الخراجية بأن هناك أجراء مماثل لما بيناه بالنسبة للضرائب غير العادية ، إذ أن الحصة المطلوبة منها لم تكن تقل بأي حال عن الحصة المفروضة في الضريبة العامة Demosia ، ومما كانت هذه الحصة قد فرضت للايفاء بأهداف خاصة ، كتنغطية مصاريف غير منظورة للإدارة المركزية ، فإنها كانت عامة تنصب للشئون البحرية وغيرها من الطوارئ العاجلة ، وكانت مبالغ محددة تفرض عندما يستدعي الحال ذلك . وفي بعض الحالات نجد بأن المصروفات قد تكون أقل من المبلغ المفروض أو أكثر منه ، ومثالاً على ذلك نجد في السجلات أن هناك مبلغ ٢٤ ديناراً و ١١ قيراطاً قد امتدنت لكي تغطي مصاريف إحدى المهات التي فرضت لها حصة أقل من الواقع (٢) وهذا يشكل صعوبات كثيرة في الإيفاء بالمصروفات المطلوبة عينياً خلافاً لتلك المطلوبة الأداء تقدماً .

ونجد بأن توزيع أوامر الجباية وإشعارات الدفع في الكورة الواحدة ، كان يتم بمقتضى الإجراءات المتبعة في جباية وفرض الخراج بالمركز الرئيسي . أما مظالبة الأشخاص بأنصبتهم في هذه الضريبة فإنه كان يتم محلياً (٣)

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ ودار الكتب ١٤٦ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ ، ١٤٧٠ .

(٣) « بريطاني ١٤٤٨ .

ولم يكن هناك فروق واضحة ومميزة بالنسبة للضرائب غير العادية ، وإذا كانت ستؤدى عينية أو نقدية ، والشيء المميز هنا بالنسبة لهذا النوع هو طلب الأشياء نفسها بمسمياتها بصرف النظر عما إذا كانت قد اشترت بواسطة الإدارة المحلية ، وإنما المهم هو طلب الشيء نفسه مثل سلاسل من الحديد من منطقة لا تصنعها وهنا نرى أن الضريبة العينية هذه قد أدت نقداً ، بينما نجد في حالة أخرى أن أمر دفع الضريبة كان يلزم بدفعها نقداً لفرض شراء أشياء وأدوات عينية (١) .

وإن الأمر غير واضح لنا ، لأن عملية تقدير هذه الضرائب غير العادية كانت في ذاتها غير واضحة ، ففي بعض الحالات نجد أن هناك ضريبة نقدية كانت تجمع لأداء طلبات عينية وفي بعض الحالات الأخرى كانت تجمع ضرائب عينية لوفاء ضرائب نقدية .

وكان خراج الأرض العام Demosia يدفع على أقساط إلى الخزانة المركزية في الفسطاط (مكثلات الفلال) Sakella ، غير أن هذه الأقساط لم تكن تشمل جميع الحصص المطلوبة من المنطقة . كما وان جزءاً من المصاريف العامة Logisima والمدفوعات المفروضة (٢) المخصصة للصرف على بعض الأغراض ، كانت تدفع نقداً إلى المسؤولين عنها مباشرة وليس عن طريق الخزانة العامة (بيت المال) (٣) وكان يتبقى عادة جزء من الحصص المفروضة بمد وضع حصة المصاريف العامة وحصة الخزانة ، كذلك خصص جزء منها للمصاريف المحلية كأجور الموظفين وغير ذلك .

(١) متحف بريطاني ١٥٠٨ - ١٥٠٩ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ بالنسبة للضرائب العينية المدفوعة نقداً ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٤ ،

للضرائب العينية انظر برديات ١٣٥٤ و ١٣٥٣ ، ١٤٣٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٣ ،

وبالنسبة للمصاريف العامة انظر ١٤١٤ .

(٣) متحف بريطاني ١٣٣٦ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ .

وعلى العموم نجد بأن جميع حصص الخراج العام Demosia والتي كانت تفرض كمصاريف عامة Dapane كانت تطالب كلها بواسطة الخزانة (١) وكانت ضريبة القمح العينية تقسم إلى قسطين تمهيداً لنقلها إلى مخازن الغلال في بابلين وإلى بند Dapane والتي هي بدون شك مصاريف إعاشة الموظفين المحليين (٢) . وبالنسبة للخراج النقدي وضريبة الطعام Embola العينية فإن حصة كبيرة منها تدفع إلى شون بابلين والخزانة العامة إما في بابلين أو الاسكندرية . وكانت تخصص كعاشات نقدية وعينية للحامية العربية ، وأطلق عليها رزق أو طعام المسلمين . وكان جزء منها يذهب إلى أنحاء الدولة الاسلامية في وقت الحاجة اليه ، فلقد روى لنا التاريخ بأن عمرو بن العاص أرسل بكميات ضخمة من القمح والطعام إلى المدينة في السنوات الأولى للفتح الاسلامي وذلك لانقاذ الحجاز وعاصمة الدولة الاسلامية من الجوع الذي عم البلاد في عام الرمادة (٣) .

ولم يبق إلا أن نبحت أمر الخدمات الشخصية التي كانت تطلبها الادارة المركزية من السكان ، ونجد بأن نفس الاجراءات قد اتخذت بالنسبة لهذه الخدمات مثل ما اتبع من قبل في فرض الضرائب . فالادارة المركزية تخصص حصص الأعمال المطلوبة على الكور ، وذلك في خطاب موجه إلى صاحب الكورة مصحوباً بأوامر فرض الضرائب وبعدها الأشخاص المطلوب منهم أداء مثل تلك الخدمات . أما أمر التكليف الشخصي لمن يقوم بها

(١) متحف بريطاني ١٣٧٠ ، ١٣٧٥ دار الكتب ١٤٦ ابن عبد الحكم ص ١٥٣ .

(٢) « بريطاني ١٤٣٤ ، ١٤١٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٥٩ ، ١٦١ ذكر ما أجراه عمرو بن العاص بمناسبة عام الرمادة وكيف أنه شق قناة تراجان إلى البحر الأحمر حتى يسهل إرسال الغلال إلى الحجاز انظر موير ، تاريخ الخلافة ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

فانه كان يتم محلياً وطبقاً للسجلات التي أعدها فارضو الضرائب (١)، ورغم أن هذه الخدمات كانت على العموم اجبارية، فانه لا يمكننا أن نطلق عليها اسم السخرة لأن القائمين بها من بحارة ونوتية وعمال كانوا يتلقون أجوراً على أعمالهم. وهذه الخدمات كما تبدو لنا هي عبارة عن إزمات إدارية، فمثلاً نجدها عادة تمتاز بما يطلق عليه العمل العيني، أي أن تطلب الإدارة المركزية أشخاصاً بعينهم، وفي بعض الحالات تطلب أجور بعض الأشخاص من منطقة، إذا لم تستطع تقديم أحد للقيام بمثل هذه الخدمات. ووجه الخلاف هنا بأن يطلب أداء بعض الخدمات المحددة بمدد من الأشخاص بصرف النظر عما إذا كانوا قد استؤجروا محلياً وأرسلوا لأداء الخدمة أم لا. (٢)

وكان هذا العمل الإلزامي يقسم إلى عدة حصص، كانت البحرية تحظى بمعظمها. وبطبيعة الحال فإن الخدمة البحرية كانت تعكس طموح الدولة العربية الفتية في دمشق للسيادة على البحر المتوسط. ولم يكن هذا النوع من الإلزام معروفاً على عهد الفاروق عمر بل بدأ في عهد عثمان بن عفان، ولا نعجب لذلك لأن موقف عمر (رض) معروف بالنسبة لركوب البحر. ولقد أطلق عثمان يد معاوية بن أبي سفيان في أمر تشييد الأسطول الإسلامي، وسرعان ما شب الأسطول الأول ووضع يده على قبرص وواجه الأساطيل الرومية في عدة معارك بحرية حاسمة وانتصر عليها. لذلك لا نستغرب طلب الإدارة المركزية في القسطنطينية والحاحها في طلباتها العديدة الموجهة إلى قرى صعيد مصر البعيدة في طلب نوتية للعمل في خدمة الأساطيل البحرية العربية، أو للعمل في ترسانات (مصانع) بناء السفن بيايون والاسكندرية والقانم ورشيد. ولقد ازداد الطلب على الخدمة البحرية عندما بدأت السلطات المركزية في دمشق بتوجيه نشاطها إلى شمال إفريقية وإسبانية.

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ .

(٢) « بريطاني ١٤٣٣ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ .

وإلى جانب هذه الأنواع من الضرائب التي وصلتنا عن طريق الوثائق الضرائبية، فإننا نجد العديد من الأنواع الأخرى التي فرضتها الخزنة المركزية في القسطنطينية وهي تتفق في أنواعها مع ما جاء في كتب الخراج. ولا يجوز أن تتجاهل مثل هذه الوثائق الخراجية رغم أنها ترجع إلى عصر متأخر نوعاً ما، لأن كتب الخراج قد ذكرتها. لذلك لا يمكن أن ننفي حقيقة فرضها وجبايتها لأننا لم نعثر على وثائق خراجية لهذا العصر.

فلقد فرضت ضرائب على المصايد وعلى القنص، وكانت بنفس المعايير التي أتت في العهد الرومي^(١) وبالنسبة لضرائب الصيد فقد قدمت لنا كتب الخراج نسبها كـ ٢٠٪ وهي لم تختلف عنها في العهد الرومي إذ كانت ٢٥٪ وبطبيعة الحال فإن كتب الخراج قد ذكرت صيد البحر في عهد متأخر لأن العرب في أول عهدهم لم يكن لهم اهتمام بالبحر، لذلك فإن الروايات المبكرة في كتب الخراج لم تتناول هذا النوع من الضرائب. وكل ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف كان عبارة عن نصين لتأجير بحيرات تستخدم لصيد السمك، وليس على الصيد نفسه^(٢). وقد ناقش الفقهاء هذه القضية التي حاولت أن تجعل فرض ضرائب على خراج البحر كإجراء غير فقهي، وحاولوا جعل هذه الضرائب في حكم العشر والزكاة بينما نجد وثائقنا قد فرضت ٢٠٪ للضريبة وهي تخالف الحدود المتعامل بها في العشر والزكاة^(٣).

(١) هذا النوع كان معروفاً في العهد الروماني والرومي وكذلك في العهد الإسلامي وقد رواه لنا أبو يوسف في رواياته وسماه الأقباس المعروفة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أبو يوسف ص ٧٠، ٨٧.

(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٧.

(٣) Tauberschlag, the Laws of Greco - Roman Egypt Warszawa, 1955 P. 663

ذكر بأن هذه الضريبة كانت ٢٥٪.

والنصوص الخراجية بينت لنا ضريبة تدعى المصايد منذ وقت مبكر ، وهي تشابه مثيلتها في العهد اليوناني (١) وكانت هناك ضرائب تفرض على المراعي (٢) وعلى المروج (٣) وأخرى على المكس وهي مثل الضريبة Telos الرومية (٤) . وهناك العديد من الضرائب التي تعامل كالمشور ، ولكننا لا نملك لها وثائق خراجية من العصر نفسه ، وهي مثل ضرائب الخطابين ، والنساجين والغزالين وغيرهم من أهل الحرف . وهي التي وردت في وثائقنا ضمن خراج الأرض . غير أننا لم نتمكن من معرفة ما إذا كانت من ضمن حصة أهل القرية من خراج الأرض أو فرضت عليهم بصفة مهنية .

ولقد قدمت لنا كتب الخراج مقاييس عديدة لفرض الخراج على الأراضي بأنواعها ، كالزروعة وغير المزروعة والتي تروى بالماء ، أو التي تروى بالأمطار والآبار والمياه المنقولة .. غير أن هذه المقاييس لم تتفق مع ما جاء في وثائقنا الخراجية ، إذ أن تلك المقاييس لم تستخدم عند فرض الخراج ... ولكن ما بقي في وثائق الخراج هو استعمال هذه الأنواع من الضرائب وهو استعمال لفظي فقط ، أما المقاييس في الفرض فتركت . فمثلاً وثائقنا قدمت ضرائب

- (١) دار الكتب ٢٣٣ و Erzherzog برديات ٥٧١١ و ٧٢٧٧ و ٩٠٣٢ .
 (٢) تبين لنا البرديات بان هناك سجلات خاصة للماشية والحيوانات المنزلية حسب أماكن تواجدها دار الكتب ٢٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٢ وهذه الضريبة تقابل مثيلاتها في كتب الخراج أي المشور للذمي والحربي .
 انظر « أبو يوسف » ص ١٣٢-١٣٧ والسرقتدي ٤٣٧-٤٥١ ، ٤٩٥-٤٩٩ .
 (٣) دار الكتب ٢٣٨ ، أبو يوسف ص ٧٠ .
 (٤) دار الكتب ١٤٧ ، وراجع كتب الخراج بالنسبة « للمكس » ومبدأ فرض المكوس وأن أول متولي المكس كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة أيام عمرو بن العاص .

ل المأله (١) خراج النخل (٢) ، خراج الخردل (٣) ، خراج الخضر (٤) ، خراج القصب (٥) خراج القرط (٦) خراج الكروم (٧) .
وقدمت لنا كتب الخراج أنواعاً أخرى من الضرائب تجبي على التعمدين والركائر وهي هنا تتجاوب مع النظام الذي كان يخضع له المسلم الذي يدفع الزكاة والعشر ، وكانت تصل إلى ٢٠٪ (٨) .

وبالنسبة للجالية أو ضريبة الرأس أي الجزية فإن وثائقنا الخراجية قد دجت هذه الضريبة في ضريبة خراج الأرض ولم تكن تجبي طبقاً لما جاء في كتب الخراج ، بل كانت تنوع حسب حال السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، ومنهم من كانت تضاعف عليه ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة ، إذ انها كانت تجبي ضمن حصتهم من الضرائب بدون تسمية ، ولم تكن الهدف الرئيسي من الجباية مثل ماتم في سواد العراق وخراسان ، وهذا المبدأ وضعه الفاروق عمر عندما عامل القبائل المسيحية العربية التي أبت أن تدفع جزية الرأس فبماها عمراً جوازاً العشر وكانت ضعف زكاة المسلم ، أي نصف العشر (٩) .

ونلاحظ بأن الضرائب الاستثنائية هذه قد استفحل أمرها في اليهود

- (١) دار الكتب ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٨٢ .
- (٢) Rylands ، ٢٣٨ ، ٢٣٣ ج ٢ ص ٢٥١ أبو يوسف ص ٣٦ .
- (٣) « « ٦٣ .
- (٤) « « ٦٥ أبو يوسف ٣٦ البلاذري ص ٢٧٠ .
- (٥) « « ٢٣٤ ، أبو يوسف ٣٦ .
- (٦) « « ١٠٠ ، ٦٥ .
- (٧) « « ١٠٠ أبو يوسف ص ٣٦ ، يحيى بن آدم ص ٤٩ - ٥٠ .
- وذكر بأن ضرائب الخور هي ١٠٪ .
- (٨) يحيى بن آدم ص ١٨ أبو يوسف ص ٧٠ .
- (٩) راجع كتب الخراج والبلاذري والطبري بالنسبة للعرب المسيحيين وعن الجزية راجع متحف بريطاني ١٤٢٠ ، ١٤٢١ وسجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

المتأخرة مما دعا أبا يوسف أن ينصح أولي الأمر بعدم جبايتها إذ قال : « ولا يؤخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مُدى ولا احتفال ولا نزلة ولا حمولة طعام السلطان ، ولا يؤخذ منهم ثمن صحف ولا قراطيس ولا أجور الكياليين ولا مؤنة لأحد عليهم . ولا يضرين رجل في دراهم خراج ولا يقام على رجله ، فانه قد بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد » (١) .

ووثائق الخراج تبين لنا بأن هذه الضرائب الاستثنائية كانت تجبى كأحد فروع خراج الأرض التي كانت تجزأ إلى صنوفها وفروعها المختلفة ، مثل ما يتم في أي موازنة للدولة في العهد الحديث ، والتي تخصص جزءاً من دخلها لمثل هذه الأعمال . ولكن يظهر بأنه في العصور المتقدمة أصبحت هذه الضرائب تجبى إلى جانب الخراج وبشكل يحذف بمصالح أهل العهد ، لذلك ذكره أبو يوسف في تعليماته لأصحاب الكور والدهاقين لتجنبه .

وقد قدم لنا الأدب المسيحي الكنسي صوراً مظلمة للجباية في عهد عبد الملك بن مروان ، وقد جاء به أن أهل البلاد قيدت تحركاتهم وختم على أيديهم وأحصي الرهبان . ولكن وثائقنا قد بينت لنا وأوضحت البيانات التي جاءت في كتب التاريخ الإسلامي أن هذه الاجراءات تمت عند تعداد النفوس الذي كان يجري كل ١٤ عاماً ، وان الغرض منه الحصر أن لا تترك الفرص للتهرب من القيد في سجلات حصر النفوس التي هي الأساس في جباية الضرائب ، والوثائق تبين لنا كيفية إصدار جوازات سفر محلية كانت تصدر عند عمليات حصر النفوس ، حين كان يسمح لأهل البلاد بترك الأماكن التي سجلوا في سجلاتها ، وكيف أن الجباية كانت تتم عن طريق محل الإقامة الجديد لمصالح المنطقة التي كان يتبعها في الأساس (٢) .

(١) أبو يوسف ص ١٠٩ .

(٢) راجع ساويرس : الأشمونى : تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ . وبالنسبة لتفاصيل وجوازات السفر المحلية راجع دار الكتب ص ١٧٤ ،

١٧٥ الفرزى ج ٢ ص ٤٩٢ وسويرس ٣٠٥ ، ٣١٤ .

وهذه الوثائق بينت عدم صحة اتهام الجهاز الإداري بالقسوة والظلم ، لأنها بينت وقدمت الكثير من الشكاوى التي أزيل بها التغالي في فرض الضريبة واهتمام الإدارة المركزية في الفسباط بمراجعة كل الأمور إلى حد تهديد أصحاب الكور بأقصى العقاب ، إن بدر منهم ظلم . والوثائق التي حررها قرّة بن شريك تظهر أنه لم يكن والياً قاسياً كما اتهمه التاريخ .

ورغم نقص بعض الوثائق التي لم تقدم لنا كافة أنواع الضرائب الأخرى التي كانت تجبي قبل الفتح الإسلامي ، فاننا نؤيد الحقيقة التي تقول بأن النظام المالي في مصر الأموية كان امتداداً للنظام الضرائبي الرومي الذي ترعرع في العهد الإسلامي والذي لم نثر له على وثائق كافية قبل هذا العهد . ومعرفتنا للنظام الرومي ترجع إلى الوثائق الإسلامية التي لولاها ما أمكن الاهتمام إلى هذا النظام .

وبالرغم من تعريب الدواوين فاننا نجد أن التعابير والمصطلحات الرومية قد تغلغت في الأدب الخراجي ، ولم تزل إلا بزوال الإدارة العربية عند فتح آل عثمان لمصر . وقد كانت اللغة اليونانية والقبطية هي اللغة الرسمية لفترة طويلة في الإدارة الخراجية إلى جانب العربية التي رصّعت بالمصطلحات اليونانية والتي سادت إلى القرن الحادي عشر ، حيث عربت الإدارة بتمامها . غير أن البروتوكول الضرائبي قد استعمل بعد ذلك الصيغ الرومية الضرائبية إلى أواخر العصور الوسطى .

الدكتور عبد المنعم حنا

المحاضر بجامعة بودابست



المدرسة الظاهرية

(دار الكتب الوطنية الظاهرية)

- ١ -

مقدمة

انتدبني وزارة التربية للعمل أمينة لمخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية ،
فأتاح لي عملي الجديد الاطلاع على كنوز خلفها أجدادنا هي زبدة قرائتهم ،
وذوب نفوسهم ، ونتاج عمرهم .

وراعتني الغيرة على مصالح الأمة ، والهمة الشفاء اللتان بدتا من طائفة من
رجال العلم والفضل في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر ، ورعتا
هذه الكنوز ، وحمتها قبل فوات الأوان ، وصانتها من تبديد الأيدي العابثة
التي أعمى أصحابها وهج الذهب فمدوها إلى هذا التراث يستلون منه القطعة
بعد القطعة ، يبدونها بما لا يعد شيئاً مهما كثر في جانبها غير مبالين بتراث
وجهود وتاريخ ..

وزادني حباً بهذه الدار أنها كانت مدرسة ترددت في جنباتها أصوات
طائفة كبيرة من العلماء الأعلام ، وتخرجت منها أعداد لا تحصى من طلبة علوم
الدين والدنيا ، كان لهم دورهم في عالم الفكر والروح خلال سبعة قرون .

- ٦٦١ -

نخطر لي أن أدون ما تقع عليه يدي من أخبار هذه المدرسة والعاملين فيها منذ تأسيسها حتى اليوم؛ فيكون بحثي هذا اعترافاً بفضلها لما أسدته وتسديه لأمتنا من خير وللعلم من خدمة .

عرضت الفكرة على الأخ العالم الأستاذ عمر كحالة فشجعتني على ذلك وقدم لي مشكوراً الكثير من المعلومات والعون . ولاقى الأمر ترحيباً من عطفة الأمير العلامة جعفر الحسيني الجزائري الأمين العام لمجمع اللغة العربية . ورأى أن ينشر البحث تباعاً في مجلة المجمع ليصار إلى طبعه في كتاب مستقل متى تم .

فكتبت في هذا الموضوع شاكرة للأمير الأمين ولالأستاذ الكريم تشجيعهما وطيب مساعدتهما ، آملة أن أكون قد فتحت الباب لمن يرغب في بحث تاريخ هذه المدرسة بحثاً ضافياً تستحقه ، لأنني واثقة أن كل ما بذلت من جهد لن يني بحال هذه المدرسة حقها ، فقد كانت ولا تزال منارة علم لا لبلدنا فحسب ، بل لرواد العلم في العالم أجمع .

أسماء المحصي

★ ★ ★

تمهيد :

من وقف على تاريخ العرب والإسلام ، وعلى الأخص تاريخ الحضارة الإسلامية راعته تلك الوثبة الثقافية ، وأخذ بمجامع قلبه ذلك الانفتاح لشتى المعارف والفنون ، تصبّ في بحر العلوم العربية النامية باستمرار ، وأدهشته تلك الوفرة في المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب ، والتي تعطي دليلاً قاطعاً على جهود جدودنا الذين أطفؤوا نور عيونهم لينيروا عقولنا ، وأحرقوا أعصابهم لينموا جسومنا ، وهدموا أنفسهم لينبؤوا لنا مجدداً خالداً على مر العصور .

ولم يكتفوا بالنظر ، بل أعمالوا أيديهم الصانع ، واستغلوا ذوقهم الفني في بناء المعابد ودور العلم والكتب . فعرفت بغداد ، والبصرة ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، والمغرب ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة وسواها آلافاً من مراكز العلم ، من مساجد جوامع ، ومدارس ، وبيارستانات ، وخوانق ، وربط وزوايا ، وتكايا ، وحتى ترب قامت إلى جانب الكثير منها أمكنة لطلب العلم وتلاوة القرآن ، ورواية الحديث . كل هذا بنوه ، واهتموا بزخرفته وتمويله اهتمامهم بيناتهم قصورهم الفخمة ، وحدائقهم الفناء .

ومر القرن السابع الهجري على الأمة الإسلامية ، ودالت دولة العلم في بغداد والعراق ، لما أغارت جموع التتار على الامبراطورية الاسلامية كأنها الجراد المنتشر ، تقضي على كل من وما تلقاه ، لا يردعها ضمير أو دين أو مسكة من حضارة ، وأباد « هولاء كو » وجنوده الكتب والمؤلفات فيما أبادوه من معالم الرقي ، وامتلك التتار هذه البلاد التي عاشت ستة قرون ونصف منارةً للإسلام ، وجامعة لرواد العلم من عرب ومن عجم .

واستشرى خطر الوثنية والصليبية ، ورأى علماء الشام ومصر ، ومن فر منهم من العراق من خطر المنول ، رأوا أنفسهم مسؤولين عن دعم الدين ونشره ، وتجديد العلم ، وجمع شتات المعارف في كتب طارفة تحلف ما أييد ، يملؤها بما وعت القرائح وحفظت الصدور .

وامتلأت نفوسهم حماسة للعمل ، وتحفزت للقيام بالواجب المقدس الذي قدر لهم الاضطلاع بمسؤوليته .

وجدت رغبتهم هذه رغبة توازيها من سلاطينهم الذين آمنوا أن لغتهم الفقيرة لن تحمل محل العربية لغة القرآن المبين ، وحضارتهم القاصرة لن تعدل الحضارة الاسلامية الراسخة ، وأن عددهم لا شيء في عديد العرب وجموع المسلمين . فرأوا — وهم المسلمون — في مؤازرة الدين والعلم ، وفي الأخذ بيد العلماء قربي إلى الله وزلفى ، وترضياً للشعب العربي المسلم ، وتمكيناً لأنفسهم في الحكم .. فراخوا ينشئون دور التعليم وينفقون عليها بجمع اليمين .

ولا شك أن دور العلم هذه تعتبر عاملاً أساسياً وحيوياً في تنشيط الحركة العلمية ، لما تتضمنه من مدرسين وطلاب ، ولما يقرر فيها من دروس ، وهي البيئة الطبيعية للعلم ينمو فيها ويزدهر .

وتتمثل دور العلم في العصر المملوكي فيما أنشئ من مساجد ومدارس للمذاهب الاسلامية الأربعة ، وما شيد من خوانق وربط ، وما أقيم من زوايا للصوفية .

وكان إلى جوار هذه المعاهد التعليمية ، كتائب صغيرة متواضعة ملحقة بها ، تعنى بتعليم الصبية القراءة والكتابة وطرفاً من العلوم الأولية ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، وتمدهم للالتحاق بالمدارس الجامعة (١) .

(١) عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ج ٣/ص ٢٥

إلا أن عدداً كبيراً منها عبثت به يد البلى ، وأذى الغزاة الفاتحين ، ولا سيما التتار والصليبيون ، فحرقاه أو ذهباً بأكثره مجددين فاجمة العرب سنة ٦٥٦ هـ . وما تبقى لا يمدو إصبعاً من جسم العلم الضخم تشير إلى رقيّ المسلمين وثقافتهم الفاخرة في عصورهم الزاهرة ، وإلى مدى تفننهم في هندسة أبنيتهم وزخرفتها وتجميلها .

وتزدهي دمشق شأن غيرها من حواضر العالم الاسلامي بالعديد من المدارس المبنية آنذاك . إن نظرة نلقها على مصوّر دمشق ومدارسها في القرن السابع الهجري (١) ترينا مراكز العلم قائمة هنا وهناك في كل حي من أحياء المدينة من سفح قاسيون إلى مرابع القوطة ، ومن سهول برزة إلى جداول النيريين .

وبين هذه المباني الكثيرة ما لا يزال يقارع الزمن وصروف الدهر رائياً للإنسان لضعف تفكيره ، ولأذاه نفسه بتحطيم أداة بنائه .

ومن هذه المباني المدرسة الظاهرية والتي سمّيت باسم الملك الظاهر الذي دفن فيها ، حسب العادة الشائعة آنذاك (٢) .

الملك الظاهر (٣) هو ركن الدين بيبرس البندقداري . ولي الملك سنة ٦٥٨ هـ . وهو أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية .

(١) كتاب « دمشق الشام » لجان سوقاجيه تمريب فؤاد أفرام البستاني ط . بيروت سنة ١٩٣٦ .

(٢) الدارس في أخبار المدارس لتصميمي - تحقيق الأمير جعفر الحسني الجزائري .
(٣) كلمة (ظاهر) لقب ثمانية من سلاطين المماليك . أولهم من البحرية وهو الظاهر بيبرس صاحب المدرسة المذكورة ؛ والباقون من البرجية وم : برفوق ، وططر ، وجفمق ، وخوشقدم ، والباي ، وتبرغا ، وقاصوه الأول .
وهناك للملك الظاهر صاحب حلب ، وهو ثاني أولاد صلاح الدين الأيوبي .

م (٧)

أصله من أرض القبيجاق ، أسر وبيع ، واشتراه — وكان صغير السن — رجل يدعى المهاد الضائع . ثم باعه للأمير « علاء الدين آيدكين البندقاري » ولما قبضَ الملك الصالح نجم الدين الأيوبي على البندقاري ، أخذ ركن الدين وجعله من جملة ممالিকে فنسب لذلك إليه ولقب بـ « الصالحى » ثم أعتقه الصالح وضمه إلى ممالিকে البحرية ورباه معهم ، فشب شجاعاً بأسلاً ، لا يهاب الردى . وعرفته الحروب ، وهو أمير ، فارساً مقداماً إن في موقعة « المنصورة » التي هزم فيها الفرنجة في عهد توران شاه ، أو في موقعتي « عين جالوت » و « بيسان » اللتين هزم فيها التتار في عهد « قطز » .

واشترك بيبرس في عدة مؤامرات آخرها مؤامرة اغتيال « قطز » بعد انتصارها على التتار . واستلم الحكم بعده . وبويع سلطاناً على مصر والشام . ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لعظمة الدولة البحرية ، فقد قضى على المؤامرات ، وفتح عدداً من البلاد ، وملاً الدنيا مهابة زهاء سبعة عشر عاماً . التفت خلالها إلى إصلاح مملكته .

وكما اتصف بالشجاعة والإقدام في الحروب وحسن ترتيبها ، عرف بالدهاء والكرم وحب الخير والإحسان إلى الفقراء . وكان يكرم العلماء وينطوي تحت مشورتهم ويقربهم .

روى السيوطي (١) أن الظاهر بيبرس حضر مرة إلى دار العدل في قضية بينه وبين أحد الأمراء أمام القاضي ابن بنت الأعز ، فقام الناس له تعظيماً ، إلا القاضي فقد أشار إليه السلطان بعدم القيام .

وبعث إليه ابن مالك النحوي صاحب « الألفية » المشهورة رسالة من الشام — وكان الظاهر في القاهرة — يستعين فيها على صلاح حاله فأعانه .

(١) حسن المحاضرة ٢/٧٤ .

كما كان يتحمل مخاشنة العلماء إياه في الحديث والنصيحة ، فلا يبطش بهم لمخاشتهم ؛ فقد وقعت بينه وبين عبد الله يحيى النووي أحد علماء الشام مكاتبات أغلظ له فيها النووي النصيحة ، فما زاد على أن نفاه من دمشق . وروي انه كان منقماً تحت كلمة الشيخ « عز الدين بن عبد السلام » ، وأنه قال لما مات الشيخ : « ما استقر ملكي إلا الآن » (١) .

ومن أجل أعماله مكافئة الكبار ، وعقاب مرتكبيها وتشديد النكير عليهم ، وإعادة الخلافة العباسية ، والقيام بأعمال عمرانية كثيرة ، كان فيها كسب أدبي كبير لمصر والشام .

وتقدم فن البناء والهندسة آنذاك لاهتمام المسؤولين بتشييد القصور والمدارس والمساجد والقباب (التراب) . والخوانق والقلاع ونحو ذلك .

ولم يك هذا البناء تلبية لداعي الحاجة فحسب ، بل كان ميدان تفاخر بين السلاطين ، لذا عُني هؤلاء بزخرفته وزينته ، وطبعي أن ينبغ في جو كهذا عدد كبير من المهندسين أو « شادّي العمار » كما كانوا يسمون في ذلك العهد (٢) .

وشيد الظاهر المدارس كسواه من السلاطين ، وكان أبرزها « المدرسة الظاهرية » في القاهرة بخط بين القصرين سنة ٦٦٠ هـ ، ويسمى السيوطي « المدرسة الظاهرية القديمة » تمييزاً لها عن « المدرسة الظاهرية » التي أنشأها بعدئذ الملك الظاهر ، برقوق سنة ٧٨٦ هـ ، في القاهرة أيضاً .

(١) عصر سلاطين المماليك ، محمود رزق سليم ٢٣/٣ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ٢٣/٣ .

وعني بيبرس بظاهريته وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم . وبنى بجانبها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، ورتب بها دروساً في المذاهب الأربعة ، والقراءات . وافتتحت باحتفال عظيم ، واعتبرت — كما قال المقرئ (١) — من أجل مدارس القاهرة .

المدرسة الظاهرية (الجوانية) أما المدرسة الظاهرية بدمشق ، والتي هي موضوع بحثنا ، فبانيها الملك السعيد أبو المعالي ناصر الدين محمد بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٨ هـ) ولكنه لا يُستبعد أن يكون أبوه الظاهر قد فكر ببناء ظاهرية دمشقية تحمل اسمه كتلك التي بناها في القاهرة إلا أن الموت عاجله قبل أن ينفذ فكرته . فقد توفي - مسموماً على ما روت الكتب - يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ٦٧٦ هـ . فأخفى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار خبر موته ، وأمر بحمله إلى قلعة دمشق ليلاً حيث غسل ، وحفظ ، وكفن ، وجعل في تابوت علق هناك في بيت من بيوت البحرية .

ثم كتب الأمير « بدر الدين » إلى ولده « محمد بركة قان » مطالعة بيده كان من نتائجها أن أخذ له البيعة بعد أبيه باسم « الملك السعيد » .. وتوجه سلطاناً لمصر والشام .

وصدر أمر السعيد ببناء الظاهرية ، - خلافاً لما أورده ابن كثير عن ابن قاضي شعبة (٢) - مدرسة ودار حديث وقبة لدفن أبيه ، إذ كان الظاهر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئ ٦٤٦/١ .

(٢) الدارس للنجمي ٣٤٨/١ .

قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا خارج السور وأن يبنى عليه هناك قبة فلا يعقل والحالة هذه أن يبنى مدرسته وقبته في مكان ويوصي أن يدفن في غيره .
 فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل سور دمشق ، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي ، وكانت قصراً للأيوبيين (١) بثمانية وأربعين ألف درهم — وقيل بستين ألفاً وقيل بسبعين (٢) — وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، كما ذكرنا .

بدأت عمارتها يوم الأبعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ .
 ولما أنجز البناءون القبة ، آخر جمادى الآخرة سنة ٦٧٦ هـ ، حضر الأمير علم الدين منجر الحموي المعروف بأبي حوض ، والطواشي صني الدين جوهر الهندي المصري إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان نائبها آنذاك عز الدين ايدمر ، فعرفاه ما أمر به الملك السعيد ، فحمل تابوت الظاهر ليلاً ، وصلى عليه في الجامع الأموي ، ثم دفن في الخامس من رجب سنة ٦٧٦ هـ بالقبة من المدرسة التي أمر ببنائها باسمه .

افتتاح المدرسة : استمر عمل البناء في الظاهرية ، حتى إذا كان يوم

الاربعاء الثالث عشر من صفر سنة ٦٧٧ هـ بديء التدريس فيها — رغم أن بناءها لم يكمل بعد — بحضور نائب السلطنة ايدمر الظاهري وقضاة دمشق .
 واجتمع خلق كثير في الايوان الشرقي حيث ألقى الدرس الأول فيه الشيخ رشيد الفارقي مدرس الشافعية . وغص الايوان القبلي بالمستمعين للدرس الأول يلقيه فيه مدرس الحنفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي العز .

- (١) السلوك للمقرزي ٦٤٦/١ . والنجوم الزاهرة ص ٢٦٣ .
 (٢) قيل إن الدار كانت للشريف أحمد المقبلي ، ثم انتقلت إلى ملك الأمير فارس الدين افطاي المسترب الأتابك ، فاشترت من ورثته وهدمت وبني موضع بابها قبة للدفن .

وفي ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمئة قدم الملك السعيد إلى دمشق فقام يعض الإصلاحات ، إلا أن المؤامرات كانت تحاك ضده ، فاضطر للرجوع إلى القاهرة ، ثم إلى خلع نفسه على أن تبقى له الكرك سنة ٦٧٨ هـ ، وتُصيّبَ أخوه « سلامش » سلطاناً ، وكان في السابعة من عمره ، إلا أن أتاكبه سيف الدين قلاوون خلمه واستولى على الحكم ولقب نفسه بالملك المنصور . وفي منتصف ذي القعدة من العام نفسه توفي الملك السعيد ، ووري بالتربة الظاهرية إلى جانب أبيه (١) ولم تك تلك المدرسة قد تمت بناءً فأمر الملك المنصور قلاوون باتمامها فكان ذلك . وقد سجل اسم بانيتها في السطرين الأخيرين فوق بابها الرئيسي بخط نسخي مزهر .

جاء فيها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة قان ابن السلطان الشهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين أبو الفتوح بيبرس الصالحي ، أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب ، فاحتوى الضريح على ملكين ظاهر وسعيد . وأمر باتمام عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه » .

أما سبب تسميتها بالجوانية فذلك تمييزاً لها عن المدرسة الظاهرية البرانية التي بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، خارج باب النصر بمحلة المنيع ، شرقي الخاتونية الحنفية ، وغربي الخاتقاء الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان بالشرف القبلي ، وجعلها على الشافعية (٢) .

(١) سجل على قبره ان وفاته كانت سنة ٦٧٦ هـ والصحيح ما أثبتناه أعلاه .

(٢) يذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه (مدارس دمشق) أنها درست . ويقول ابن بدران في منتخب النفاس أنها : « محل التكنة ، وزاوية للولوية ، وبستان الأعجام » .

أما المدرسة الظاهرية الجوانية - موضوع بحثنا هذا فتعتبر من أهم مدارس دمشق الباقية إلى اليوم رغم انه اعتورها ما اعتور سواها من عشرات المدارس التي كانت عامرة وعاشت ردها من الزمن تحت سماء دمشق مثابة للعلم وطلابه ، درسوا فيها القرآن والحديث والفقه والأصول والكلام والطب والرياضيات والطبيمات والفلك والتاريخ والأدب وسوى ذلك ، والتي لم يبق منها إلا القليل وفي حكم الخراب . فقد درست معالمها وأكلت أوقافها ، واستصنفت معاهدها ولم يبق سوى ذكرها في بطون الكتب والدفاتر .

موقع الظاهرية : تقع الظاهرية من دمشق في حي الهارة بين بابي الفرج والفراديس ، تجاه المادلية (مقر مجمع اللغة العربية اليوم) بينها طريق باب البريد المفضي إلى الجامع الأموي .

شكل البناء : لا يزال مدخل المدرسة على حالته الأولى رغم ما صاب التار على دمشق من ويلات .

ولا ريب أن تحويل قصر العقيقي إلى مدرسة، كان من شأنه تغيير شكل البناء الأصلي فرفت حوله الجبهتان : الجبهة الغربية وفيها الباب الرئيسي ، والجبهة الجنوبية، وأقيمت فيها قاعة الضريح التي بنيت عليها قبة على حطتين مصلعتين .
ويظهر أن الحمام (١) الملاصق للمدرسة من جهتها الشمالية ، والايوان الشرقي كانا من أجزاء الدار القديمة . ويبدو أن مهندس المدرسة « ابراهيم بن غانم »

(١) حمام العقيقي : لا يزال حتى اليوم بحالة حسنة ، وتسميه العامة حمام « الملك الظاهر » أو « حمام العقيق » . وقد وسم على حساب المدرسة ، ويبدو هذا واضحاً لمن لاحظ نهاية الجدار الغربي للظاهرية .

استوحى تقاليد الفن الأيوبي الماضية التي كانت ماثلة في الدار نفسها ، وفي بناء المدرسة العادلية المقابلة . ولعله توخى من ذلك أن يجعل هذين البنائين المتقابلين منسجمين كل الانسجام ، وأن يؤلف منها وحدة عمرانية يكمل فيها جمال الأولى روعة الثانية .

وقد أفلح في مسعاه . فالمدرستان تزوعان رائبهما فيها رابضتان وجهاً لوجه ، كعملاقين جبارين تتحديان الزمن والفناء بروعة وجلال .

إلا أن واجهتي المدرسة الظاهرية الغربية والجنوبية أجمل من نظيرتيها في العادلية بكثير ، بل تعتبران من أجمل ما بنى المهاليك . وهما مشيدتان بالأحجار المنحوتة المتقنة . وفي أعلاها كوى مستديرة تحيط بها زخارف هندسية متألفة من دوائر متداخلة . (١) .

أما المدخل الرئيسي فمبنى بأحجار بيضاء ، وأخرى وردية اللون ، تتوجه نصف قبة من المقرنصات البديعة ويعلو الباب ثلاثة صفوف عريضة من الكتابات النسخية المزهرة الجميلة ، جاء في الصفين العلويين منها ذكر وقفها وفي الصفين السفليين أسماء بناتها .

وجاءت جملة أخرى في الزاوية الشمالية أعلى الرناج « عمل إبراهيم بن غانم » المهندس رحمه الله . مما دل على أن المهندس عربي من أهل الديار . ولو لم يعف الزمن آثار هؤلاء الأسلاف ، ولو عني مؤرخونا بترجمة المهندسين عنايتهم بتراجم المتفقيين والتأديين والأطباء مثلاً لعلنا لعلنا الحلقات الناقصة من سلسلة حضارة العرب في سورية ، لأن هذه المعاهد لم تبنيها إلا أيدي أبنائها وبوحي عقولهم . والداخل إلى المدرسة يهبط دركة إلى عتبة المدخل التي يقوم على جانبيها دكتان حجريتان ورديتا اللون ، فاذا ما جاز بابها الجميل المزخرف « بالخيوط

(١) مشاهد دمشق الأثرية ، لسليم هادل عبد الحق ، وغالد صاذ ، ص ٥٩ ب . اللوحة (٤١) .

العربي وجد نفسه في رواق يمتد شمالاً جنوباً ذي ثلاث أقواس ، يحملها عمودان حجريان ضخمان ويرى البناء يأطر باحتها المربعة .

وإلى يمين الداخل في جنوب الرواق تقوم القبة الرائعة (تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد) . يصعد إليها بدرجتين . وقد نقش على بابها الخشبي وقفها . والقاعة مربعة الشكل ترتفع قبتها نحو ثلاثين متراً على حطتين مزلعتين . تكسو جدرانها زخارف من المرمر الملون والحجر المنحوت ، ولا نعلم فيما إذا كان قد أخذ من مقالع في سورية أو جلب من بلاد غيرها . ومحرابها آية في زخرفته بالمرمر الملون المجزع المصنف على طريقة « الموزائيك » وبالفسيفساء التي تعد نموذجاً صالحاً لزخرفة القرن السابع ، عدا نقوش دقيقة حفرت في المرمر نفسه ، وأطرت فتحة المحراب . ويزين جانبيه الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » . ويمحو المحراب قوس من المرمر المطعم غاية في دقة صنعه وبديع رسمه .

وفي كل من جدران القاعة الثلاثة نافذتان أحيطتا بزخارف وحول الجدران زخارف بالفسيفساء الزجاجية الملونة تمثل قصوراً وشجراً ونقوشاً عربية رائعة ، وفوق هذه الزخرفة ، في منتصف أقواس الجدران فتحت كوى أربع في كل قوس واحدة .

الغربية والجزوية منها تبدوان من الطريق مزخرفتين ، كما ذكرنا ، بدوائر متداخلة ، وثلثان داخليتان في الجدارين الشمالي والشرقي . تطل الشمالية على سطح الرواق القائم في مدخل المدرسة وتطل الشرقية على الايوان القبلي . وقد سدنا فيما بعد لما حولت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية ، وعدل شكل البناء فيها كما سيأتي بيانه .

ويقوم على الجبهة الجنوبية إلى جانب القبة وبمحاذاتها الأيوان الجنوبي الذي خصص للحنفية ولا يزال ماثلاً بهيئته السابقة ، القوس والقبة والحراب وبصعد إليه بدرجة .

أما الأيوان الشرقي فقد دثر ولم يبق من قوسه إلا ثلاثة أحجار ، تدل على مشاكلته للأيوان القبلي المذكور .

وعلى يساره بينه وبين الأيوان القبلي تقوم دار الحديث والتي لا يزال مدخلها واضحاً رغم التعديل فيه .

أما داخلها والجبهتان الشرقية والشمالية فلم يبق من بنائها القديم شيء ، فقد اندثر كله وحل محله بناء آخر يبدو أنه شيد في العهد التركي . وكل ما بقي من الجهة الشمالية قوس صغير يبدو في آخر الجدار الشمالي عن يسار الداخل آخر الرواق .

وهناك أيضاً إلى جوار القوس وفي آخر الجبهة الغربية [عن يسار الباب الرئيسي] باب آخر مسدود الآن لم أستطع أن أصل إلى معرفة ما كانا يشكلان في هذا البناء . هذه الأبنية تأطر باحة مربعة الشكل تتوسطها بركة مربعة الشكل أيضاً .

على كل من الصعب علينا أن نعرف الشكل القديم للمدرسة الظاهرية كاملاً ، ولا سيما جناحها الشرقي والشمالي — كما ذكرت — اللهم إلا إذا هدم البناء الحالي وفرغت أطرافه ونبشت الأسس لتحديد البناء القديم ، وبذلك نستطيع أيضاً أن نعرف الخطة التي اختطها ابن غانم المهندس للمدرسة ؛ عندئذ تمكن من إعادة بنائها بشكله القديم بالاعتماد على المقارنة والقرينة .

ويستفاد من تراجع بعض من درّس أو درّس فيها ولا سيما في دار الحديث — انه كانت هناك غرف لهم يمشون فيها — وكان ذلك شرطاً على من يعين شيخاً لدار الحديث على الأقل — ولكن في أية جهة منها ؟ وما شكلها ؟ وهل هي أرضية أم علوية ؟ أمور كثيرة مجهولة من العسير الوصول إليها .

واردات الظاهرية : من السهولة بمكان تقدير واردات الظاهرية الوفيرة ، إذ أن نظرة نلقيا على الكتابات المنحوتة في أعلى بابها الخارجي ، وعلى باب قبتها تدلنا على غنى المدرسة ووفرة أوقافها ، فقد جاء في السطور العلوية المرقومة على الباب الرئيسي ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار الحديث النبوي الحصنة من قرية الطرة من عمل أذرعان ، ومبلغها أحد عشر سهماً وربع ، وثمان ستم من أصل أربعة وعشرين سهماً من قرية الصرمان بكاملها ومن أعمال الشعراء وقرية أزرع بكاملها من عمل نوى ، والحصنة من قرية بيت الرامة ، وقرية سوية وقرية الزراعة من الغور ، ومبلغها سهران من أصل أربعة وعشرين سهماً ، والحصنة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسع عشر سهماً ونصف من أربعة وعشرين ، والبساتين الثلاثة المعروفة بابن سلام ظاهر دمشق من أراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون ، وبستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي ، وطاحون السبتية الملاصقة للبستان المذكور ، وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس ، وخان بيت حنا ، وحنوت جوار بساتين ابن سلام . وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق ، والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمئة . »

وكانت هذه الأوقاف المذكورة تمدّ المدرسة والقائمين عليها ومن يحيا فيها من طلبة العلم بالخير ، وتكفيهم مؤنة العيش ، وتوفر لهم وقتهم للتعلم والتعليم .
ويحدثنا ابن بدران (١) أن ركن الدين السمرقندي (٧٠١ هـ) كان مدرساً للحنفية فيها وناظراً عليها ، وكان يحيا في بجوحة . ويبدو أنه امتلك

(١) ضاممة الأطلال ومسامرة الحبال ص ١٨١ .

من المال ما أغترى بوابها « علي الحوراني » بقتله ، وإلقائه في بركتها وأخذ ماله . وقد عوقب بصلبه على بابها .

ويحدثنا النعمي (١) نقلاً عن الشيخ تاج الفزاري : أن العلامة رشيد الدين أبا حفص عمر بن اسماعيل الفارقي شيخ الشافعية وجد مخنوقاً في مسكنه بالمدرسة الظاهرية ، وقد أخذ ماله ، وذلك في شهر محرم من عام تسعة وثمانين وستمئة للهجرة . ومن استعرض حياة طائفة ممن عمل فيها وجد أن السكل راغب في خدمتها ساع إلى الاستئثار بها أو إلى إيكال أمرها لابن له أو قريب ، وأعتقد أن وفرة ريع أوقافها كانت من جملة العوامل التي دفعتهم لأن يظلوا مجاهدين في ميدانها ، باثين حبّ العلم والفضل في نفوس طلابها ، مما جعلها تؤدي الخدمة الثقافية المرجوة خلال قرون .

إلا أن هذه الأوقاف بعضها درس وبعضها تناولته أيدي الطامعين ممن لا ضمير لهم ، وساءت حال المدرسة يوماً بعد يوم ، لولا أن تداركتها العناية الإلهية بطائفة من العلماء ذوي الوعي والضمير ، حولتها إلى مكتبة وطنية في أواخر القرن الثالث عشر في فترة كادت تلفظ فيها الأنفاس .

التربس في الظاهرية :

ذكرنا أن الملك السعيد لما بنى المدرسة الظاهرية إلى جوار تربة أبيه ، جعلها على الحنفية والشافعية ، وأقام فيها دار حديث . وقد درس فيها على المذهبين علماء أعلام نذكر أسماء بعضهم لتعرف سوية الثقافة التي كانت تقدمها هذه المدرسة ، ولنقف على تطور وضعها الثقافي من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر .

(١) الدارس في تاريخ المدارس ص ٤٨ .

كان القرن السابع الهجري فترة اليمن والإقبال على المدرسة الظاهرية الفتية . وأول العلماء الأعلام الذين شهدهم الإيوان القبلي (منبر الأحناف) : قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي الأذرعني [٥٩٤-٦٧٧ هـ] شيخ الحنفية في زمانه وصاحب الجامع الصغير (١) .

ثم درس بها الصاحب محي الدين محمد بن يعقوب النحاس (٢) [٦١٤-٦٩٥] كان متبحراً في المذهب وغوامضه موصوفاً بالذكاء وحسن المناظرة ، انتهت إليه رئاسة المذهب بدمشق ، وكان - وهذا أمر يلفت الانتباه - معياراً مهندساً كاتباً موصوفاً بحسن الانصاف في البحث . وكان يقول : « أنا على مذهب الإمام أبي حنيفة في الفرع ، ومذهب الامام أحمد في الأصول . وكان يجب الحديث والسنة ، سمع منه ابن الخباز ، وابن العطار ، والعرضي ، والمزي ، والبرزالي ، وابن تيمية ، وابن حبيب ، والمقاتي ، وأبو بكر الرحي ، وابن النابلسي . وتكفينا نظرة تلقينا على تراجم طلابه هؤلاء لنعرف قيمة هذا الرجل ومن أنجبتهم هذه الدار .

ودرس فيها بعده سنة ٦٩٨ ابنه القاضي شهاب الدين يوسف بن محي الدين ابن النحاس (٣) وتلاهما العلامة ركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي وكان إماماً عابداً ومن كبار أئمة المذهب ، مكباً على المطالعة والتعليم وله ورد ، يصلي في اليوم واللييلة مئة ركعة ، وله حلقة بالجامع . مات مخنوقاً بيد بواب الظاهرية سنة ٧٠١ هـ طمعاً في ماله وخسرت المدرسة بذلك عقلاً مفكراً وروحاً طيبة . وارتفع في القرن نفسه وفي الإيوان الشرقي (ركن الشافعية) أصوات علماء عدة منهم :

- (١) شنرات ابن المهاد ٣٥٧/٥ ومنادمة ابن بدران س ١٨١ ودارس التميمي ٥٤٣/١ .
- (٢) الدارس : ٥٢٤/١ - ٥٢٥ .
- (٣) الدارس : ٥٢٨/١ .

العلامة أبو حفص عمر بن اسماعيل الربمي الفارقي الدمشقي (١)
 [٥٩٨ - ٦٨٩ هـ] وكان فقيهاً أديباً مفتناً، أفنى وناظر، وبرع في البلاغة
 والنظر، وكانت له اليد الطولى في التفسير واللغة. شارك في الأصول والطب
 والنظر في أحكام النجوم. انتهت إليه رئاسة الأدب في عصره، واشتغل
 عليه العديد من الفضلاء ومن غريب الصدف أن يخنق (كالسمرقندي) في
 مسكنه في الظاهرية ويسرق القاتل ماله.

ومنهم الأمير عز الدين ايدر الظاهري (٢) [٧٠٠ - ٧٠٠ هـ] نائب
 دمشق، وهو الذي افتتح التدريس فيها.

ومنهم أيضاً قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين الملاي
 الشافعي المعروف بابن بنت الأعز (٣) [٦٩٥ - ٧٠٠ هـ].

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في تلك الحقبة من القرن السابع عدد
 من الفضلاء أبرزهم.

أبو إسحق اللوري (٤) [٦١٤ - ٦٨٧ هـ]. سمع من ابن رواحة ومن
 ابن الجيزي وطبقته، وتفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والمبادة والإيثار
 والصفات الحميدة والحرمة والجلالة.

ومنهم عز الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفاروئي الواسطي (٥)
 [٦١٤ - ٦٩٤ هـ] قرأ القرآن على والده وعلى الحسين الطيبي، وسمع ببغداد

(١) الفترات ٤٠٨/٥، والدارس ٣٥١/١.

(٢) الفترات ٤٥٦/٥، والدارس ٣٥١/١.

(٣) الفترات ٤٣١/٥.

(٤) الدارس ٣٥٥/١.

(٥) الدارس ٣٥٥/١.

وواسط واصبهان ودمشق . وأخذ التصوف عن شهاب الدين السهروردي ، وروى الكثير بالخرميين والعراق ودمشق ، وسمع عنه كثيرون منهم البرزالي ، كما قرأ عليه القرآن جماعات ، وقال ابن كثير : إن كتبه بلغت ألي مجلد ومئتين .

وروى الذهبي في عبره أنه كان فقيهاً شافعيّاً مدرساً فقيهاً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً واعظاً كريم الأخلاق ، جواداً محبوباً ، غادر دمشق سنة ٦٩١ هـ إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وانطلق من هناك إلى واسط حيث توفي .

ومنهم أبو اسحق ابراهيم الواسطي ثم اللمشقي الحنبلي^(١) [٦٠٢ - ٦٩٢ هـ] وكان رجلاً صالحاً ، دعا إلى مذهب السلف الصالح والصدر الأول ، انفرد بعلو الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد ولي في أواخر حياته مشيخة دار الحديث الظاهرية وكان ذلك بعد سفر الفاروثي .

وولي مشيخة الحديث بعده سنة ٦٩٢ شرف الدين عمر ابن خواجا المعروف بالناسخ .

ويطلع القرن الثامن على العالم العربي الاسلامي بعلماء لا يقفون عن سالفهم علماً وفضلاً ، وعرفت الظاهرية من أحنافهم :

القاضي شمس الدين بن أبي العز الازدعي الحنفي^(٢) [٦٦٣ - ٧٢٢ هـ] من أعيان الحنفية . كان بارعاً في فنون من العلوم ، درّس في الظاهرية وكان ناظر أوقافها ، وأذن له بالافتاء .

ومنهم الصدر الكبير قطب الدين موسى بن أبي عبد الله محمد اليونيني المؤرخ^(٣) [٦٤٠ - ٧٢٦ هـ] سمع من أبيه ومن ابن عبد الدايم ، وعبد العزيز ، والرشيد العطار ، واسماعيل بن صارم ، وأجاز له ابن رواج والبشيري .

(١) الدارس ١/٣٥٧ .

(٢) الدارس ١/٥٤٧ .

(٣) الثغرات ٦/٧٣ .

روى عنه الذهبي أنه كان عالماً فاضلاً مليح المحاضرة كريم النفس معظماً جليلاً حدثت بدمشق وبعلبك وجمع تاريخاً حسناً ذيل به على مرآة الزمان ، كما اختصر المرأة .

ومنهم كذلك العلامة شمس الدين محمد بن عثمان الأنصاري الحنفي الحريري (١) [٦٥٣ - ٧٢٨ هـ] . كان شيخ المذهب ، سمع من أبي اليسر ، وابن عطاء ، والجمال ابن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون . وقد درس في الظاهرية عوضاً عن القاضي شمس الدين الملطي .

درس وأفق . كان وقوراً حسن السمات متين الديانة . منطلق العبارة وروى عنه أنه كان يراعي الإعراب في لفظه ، حتى مع النساء في بيته .

ومنهم أيضاً نجم الدين علي بن داود بن يحيى القرشي القحفازي الحنفي (٢) [٦٦٨ - ٧٤٥ هـ] : كان شيخ الأدب في عصره ، إماماً متفتناً وخطيباً مفوهاً ، تميز في الفقه والعربية وغيرها ، وله ذهن جيد ومناظرة صحيحة وشعر لا بأس به . سمع من البرهان ابن الدرجي وغيره . استلم التدريس في الظاهرية يوم الأربعاء السادس من صفر سنة ٧٢٢ هـ وذلك بعد موت شمس الدين ابن أبي العز الحنفي الأذرعي .

وشهد إيوان الشافعية في هذا القرن من رؤساء المذهب كل عالم فاضل أبرزهم : العلامة صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي الارموي الشافعي (٣) [٦٤٤ - ٧١٥ هـ] . كان متكلماً أشعرياً كثير الأسفار . أخذ عن ابن الوكيل ،

(١) فوات الوفيات للصلاح الصفدي سنة ٧٢٨ .

(٢) الدارس ٥٤٧/١ ، وذيل العبر ليونيني سنة ٧٤٥ . ذكر النيمي في دارسه :

٥٢٠/١ ما يفهم منه ان نجم الدين وزين الدين القحفازي هما لقبان لشخص واحد .

(٣) الدارس ١٢٩/١ .

وإن الفخر المصري ، وابن المرمل ، قدم دمشق سنة ٦٨٥ هـ وولي بها مشيخة الشيوخ ، وتدرّس الشافعية في الظاهرية ومواها وتصدر للافتاء والاقراء في الأصول والمعقول والتصنيف . أفاد الناس وسلك تلاميذه مسلكه ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية .

ومنهم كمال الدين أبو المعالي محمد بن علاء الدين الزمركاني الشافعي (١) [٦١٦ - ٧٢٧ هـ] : شيخ الشافعية بالشام انتهت إليه رئاسة المذهب تدرّساً وافتاءً ومناظرة ، سمع منه الكثير ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والقاضي بهاء الدين بن الزكي في الأصول ، وعلى بدر الدين بن مالك في النحو . وكان ذا ذهن وقاد ، حسن العبارة جيد الخط . روى الصفدي عنه انه كانت له خبرة بالمتون وكان بصيراً بالمذهب وأصوله قوي العربية ، قد أتقنها ذكاءً ودرهاً ذكياً ، تلقى العلم على شهاب الدين الخوئي وشمس الدين الأيبي وصني الدين الهندي . يقول الصفدي ولقد رأيت في الظاهرية وفي يده القائمة من الحساب وهو يساوق المباشرين على المصروف فيسبغهم إلى الجمع وعقد الجملة ، ويبقى ساعة ينتظرهم إلى أن يفرغوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذا وكذا . فيقول : لا ! فيعيدون الجمع إلى أن يصح .

ولي عدة مناصب هامة ، وقد طلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى قضاء الديار المصرية ، ففرح الناس بالخبر ، ولكن النية عاجلته قبل أن يستلم مهام المنصب . له تماليق مفيدة ، منها قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، وقيل هو أول من شرحه . ومجلد في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق .

(١) الدارس ١/٣٣ . ويذكر الصفدي انه ولد في شوال سنة ٦٦٧ هـ . م (٨)

قال ابن كثير: « وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها، ولا أحلى من عبارته وحسن تقريره، وجودة احترازاته وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه .

ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد التميمي الدمشقي القلانسي^(١) [٦٦٩ - ٧٣١ هـ] .

كان محتشماً عالماً لين الكلمة متواضعاً حسن السمعة برأ بأهل العلم والصلحاء، اشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري، وتآدب على الرشيد الفارقي .
ولي مناصب عالية دينية ودينية، وأذن له بالإفتاء .

ومنهم الشيخ علاء الدين القلانسي أخو جمال الدين السابق الذكر^(٢) [٧٣٦ - ٨٠٠ هـ] كان قاضي العسكر، ووكيل بيت المال، ومدرّساً في عدة مدارس؛ حلّ محل أخيه في تدريس الظاهرية .

وفي هذه الفترة من القرن الثامن تردد في أجواء الظاهرية صوت جلال الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن... بن أحمد بن دلف المجلي القزويني الشافعي خطيب دمشق^(٣) . [٦٦٦ - ٧٣٩ هـ] .

كانت له مشاركة في شتى العلوم والمعارف ففرف فقيهاً أصولياً محدثاً، كما عرف أديباً، عالماً بالعربية والمعاني والبيان، ينظم الشعر، وكان كذلك معدوداً بين القضاة والخطباء المفوهين .

(١) الدارس ١/١٩٢ .

(٢) الدارس ١/١٩٨ .

(٣) مجمع المؤلفين لمرضا كماله ١٠/١٤٦، والكفريات لابن الهادي ٦/١٢٣ .

سكن بلاد الروم فترة ثم قدم إلى دمشق حيث ناب في القضاء ، وولي الخطابة بها ، انتقل إلى الديار المصرية ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها في ٢٧ جمادى الأولى . ودفن بمقابر الصوفية .

له تصانيف عديدة منها : تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي ، والايضاح في المعاني والبيان ، والشذر المرجاني من شعر الأرجاني .

وتردد بعده صوت العلامة بقيمة السلف مفتي الشام جمال الدين أبو عبد الله

محمد بن القاضي محي الدين ، المعروف بابن قاضي الزبداني^(١) [٦٨٨-٥٧٧٦هـ] كان أديباً ، متواضعاً ، يفيث الملهوف ، ويقصده الناس لحل مشكلاتهم .

سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري ، وكال الدين بن قاضي شبة ، وكال الدين بن الزملكاني ، وأذن له بالفتوى ، ولم يضبط عليه فتوى أخطأ فيها ، لذا كان معظماً تخضع له الشيوخ ، وتسمع له القضاة .

ومن تولى تدريسها أيضاً من الشافعية : أبو العباس شهاب الدين الأذرعي الدمشقي ثم الحلبي الشافعي^(٢) [٧٠٨-٥٧٨٣هـ] . سمع على القاسم ابن عساكر ، وأحمد ابن الشحنة ، والصدر عبد المؤمن الحارثي ، وقرأ على الحافظين الذهبي والمزني ، وكانا يعجبان بقراءته .

أجاز له من دمشق : أبو النصر الشيرازي ، وإسحق الأمدي ، وأبو عبد الله الزرّاد ، ومن مصر : أبو الحسن بن قريش ، وأبو الحسن الواني ، وأبو الفتح الدبوسي ، وصالح الأشنهي ، ويوسف الختني ، وعمر العتي ، وعبد الله الصواف وسواهم . وقد خرج له عنهم الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي جزءاً أحدث به .

(١) الدارس ٣١١/١ .

(٢) الدارس ٥٦/١ .

تفقه الأدرعي وبرع حتى صار شيخ البلاد الشامية ، وأحفظ الناس لفروع المذهب ، من تصانيفه (قوت المحتاج) و (عنية المحتاج) وكلاهما في شرح (المنهاج) . وله (المتوسط في الفتح بين الروضة والشرح) يعني (شرح الرافعي الكبير) في عشرين مجلدة ، وهو كتاب جليل ، وله مختصر « الحاوي » الماوردي .

ومنهم كذلك المفتي البارع نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان الياصوفي الدمشقي المعروف بابن الجابي^(١) [٧٣٦ - ٧٨٧ هـ] .
سمع الحديث ، وتفهمه ، وأخذ الفقه عن الغزي ، والحسباني ، وابن حجي وغيرهم . كما أخذ الأصول عن الشيخ بهاء الدين الأخميمي ، ثم درس وأفتى ، وولي تدريس الظاهرية .

وكذلك القاضي تاج الدين أحمد بن فتح الدين ابن الشهيد^(٢) [٧٥٠ - ٨٠٠ هـ] كان عالماً خبيراً بصناعة الكتابة محبباً إلى الناس . تولى تدريس الظاهرية بعد أن نزل له عنها قاضي القضاة شمس الدين الاخنائي وبقي يدرس فيها حتى مات سنة ٨٠٠ هـ .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في القرن الثامن هذا عدد من العلماء الفضلاء نذكر منهم :

شرف الدين عمر بن محمد المعروف بالناسخ^(٣) [٦١٨ - ٧٠٢ هـ] درس فيها بعد تقي الدين الواسطي . سمع من ابن الزبيدي وابن اللتي وغير الدين

(١) الدارس ٢٤١/١ .

(٢) الدارس ٣٢٧/١ .

(٣) الدرر الكامنة ١٨٩/٣ .

ابن الشيرجي ومن غيرهم . وكان حسن الخط ينسخ الختمات والربعات ويذهبها ،
 فعرف بالناسخ ، وكان ديناً كريماً حسن الشكل من بقايا الفقراء الحريرية ،
 وله نصيب من ذكر ومشيخة . استلم التدريس في دار الحديث الظاهرية
 سنة ٦٩٢ هـ وبقي فيه حتى نهاية حياته .

ومنهم شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد الفزاري (١) [٦٣٢-٧٠٢ هـ]
 وقد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس الثامن من ربيع الأول
 سنة ٧٠٢ هـ عوضاً عن شرف الدين الناسخ . وكان برّاً خلوفاً . وقد حضر
 دروسه عدد من الأعيان ، ولكن لم يطل عهده فيها ، إذ توفي في العام
 الذي ولي فيه التدريس عن سبعين عاماً .

وأبرز من ولي مشيخة دار الحديث في القرن الثامن .

عفيف الدين اسحق بن يحيى الأمدي ثم الدمشقي الحنفي (٢) [٦٤٠-٧٢٥ هـ] :
 سمع الحديث على كثيرين منهم محمد الدين بن تيمية ؛ وكان الأمدي شيخاً فاضلاً ،
 حسن السميت ، سهل الإسماع ، يحب الرواية . قال الذهبي (٣) عنه : « وروى
 عن ابن خليل وعن عيسى الخياط والضياء صقر وغيرهم . وطلب الحديث ،
 وحصل أصولاً بمرؤياته . وخرج له ابن المهندس معجماً قرأته عليه ، وكان
 لا بأس به » .

ومن شيوخ دار الحديث أيضاً : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
 الذهبي (٤) [٦٧٣-٧٤٨ هـ] : كان حافظاً مؤرخاً ، وعلامة محققاً ،

(١) الدارس ٣٥٧/١ .

(٢) الدارس ٣٥٧/١ .

(٣) العبر سنة ٥٧٢٥ .

(٤) الفترات ١٥٣/٦ والأعلام ٢٢٢/٦ .

ورحالة باحثاً ، له تصانيف كثيرة تقارب المئة منها : « دول الإسلام » و « المشبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب » و « الباب » و « تاريخ الإسلام » و « تذكرة الحفاظ » و « طبقات القراء » و « المستدرك على مستدرك الحاكم » وسوى ذلك .

ومن شيوخها أخيراً : قوام الدين لطف الله الحنفي (١) [٦٨٥ - ٧٥٨ هـ] : كان رأساً في مذهب أبي حنيفة ، بارعاً في اللغة ، عابداً زاهداً . ولي تدريس الحديث بعد وفاة الذهبي ، وأخذ عنه الشيخ محب الدين ابن الوحيدة (٢) .

ويطل القرن التاسع للهجرة وتشهد الظاهرية العديد من أعلامه . أبرزهم الشيخ جمال الدين الطياني (٣) [٧٧١ - ٨١٥ هـ] : أبو محمد عبد الله بن طيوان المصري ثم الدمشقي . نشأ يتيماً فقيراً وصلّى بالقرآن وهو ابن سبع سنين . اشتغل على مذهب الإمام أحمد ، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وتفقه . لزم الشيخ برهان الدين الاسكندراني ، ثم أخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني . وعن الشيخ عز الدين بن جماعة ، أخذ الأصول والنحو والعلوم العقلية . وأقام بالشام يشتغل ، ويفتي ، ويصنف ، ويدرس في عدة مدارس منها الظاهرية . ولم يتكلم إلا معرباً ، روى ذلك عنه الشهاب ابن حجي . مات قتيلاً بمنزله في التعديل في الفتنة التي وقعت بين الناصر وغمائه ، في صفر سنة خمس عشرة وثمانئة .

ومن مدرسي الظاهرية في هذه الحقبة وأواخر القرن السابق : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين الأحنائي الشافعي (٤) [٧٥٧ - ٨١٦ هـ] ولي

(١) الثورات ١٦٥/٦ .

(٢) طبقات النعاة للسيوطي .

(٣) الدارس ٢٥٦/١ .

(٤) الدارس ١١٤/١ - ١١٥ .

القضاء في عدة مناطق ثم درّس في الظاهرية ، ونزل له عن المنصب علاء الدين الكركي كاتب السر الذي أخذه عن ابن الشهيد . كما ولي وكالة بيت المال ونظر الجيش ، ولكنه ما وفق في شيء كالتدريس والشيخة .

ودرّس فيها القاضي العالم والأديب فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن محمد المعروف بابن شهيد كاتب السر بدمشق [٧٢٨ - ٨٢٣] (١) اشتغل في العلوم وتفتّن وفاق أقرانه في النظم والنثر . ولي تدريس الظاهرية عوضاً عن ابن قاضي الزبداني الذي نزل له عنها .

وولي التدريس فيها أيضاً شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي الشافعي (٢) [٧٦٣ - ٨٣١ هـ] : تفقه في شبابه ، وسمع من إبراهيم بن اسحق الآمدي وعبد الرحمن بن القاري وغيرهما ، كان خبيراً ، متواضعاً ، مصنفاً ، ناظماً ، له ألفية في أصول الفقه ، شرحها في نحو مجلدين ، ويقول عن هذا المؤلف إنه جملة ما حصل طول عمره . كما شرح لامية ابن مالك شرحاً جيداً ، واختصر السيرة . جاور بمكة ثم انتقل الى القاهرة ومنها الى القدس حيث توفي سنة ٨٣١ هـ .

أما دار الحديث فقد عرف أن شمس الدين البهنسي ٨٣١ هـ (٣) تولّاها عصرئذ وكان ساكناً ليناً ، وعرف أنه كان يقرأ البخاري بالجامع المقابل للشبلية وغيره .

ودمر القرن العاشر واستمع طلاب الظاهرية إلى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ابن شرف الدين يونس العيшаوي الشافعي (٤) [٩٢١ - ٩٥٨] ،

(١) الدارس ٣٥٣/١ .

(٢) الشذرات ١٥٦/٧ .

(٣) ذيل ابن شبة سنة ٨٣١ هـ .

(٤) الشذرات ٣٢١/٨ .

قرأ على والده، وعلى الشيخ تقي الدين البلاطسي، وأبي اللطف المقدسي، وأجازاه كما أجازوه مفتي بعلبك البهاء بن القصي، والجمال الديروطي، وسمع على التاج المرضي.

نشأ من صغره في طاعة الله متأديباً متواضعاً سليم الفطرة منور الطلعة، درّس في الفقه والنحو والتفسير والحديث.

وسمع طلبة العلم في دمشق من أهل القرن الحادي عشر صوت الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري الدمشقي الفقيه الحنفي [٩٨٤ - ١٠٥٦ هـ] (١) يدرس في الظاهرية، وكان عالماً بالفقه والعربية متبحراً فيها، وكان غاية في جودة التعليم وحسن التفهيم. وله اطلاع زائد على فروع المذهب.

كما عرفت الظاهرية الشيخ زكريا بن حسين بن مسيح البوسنوي الدمشقي (٢) [٩٢٥ - ١٠٧٣ هـ] كان يحسن اللغات الفارسية والتركية والبوسنوية والعربية وكان يكتب الخط المليح. وله فضيلة وحسن ومنادمة. مات سنة ١٠٧٣ هـ. ودفن في مقبرة الفراديس.

أما القرن الثاني عشر فقد شهد فيه إيوان الأحناف في المدرسة الظاهرية الشيخ عبد الرحمن بن أحمد القاري (٣) الحنفي الدمشقي، أحد الصدور من أعيان دمشق، تولى أمر تدريس الظاهرية حتى إنه درس بها حين أمر والي دمشق مراد قزك بأن يلزم المدرسون في كل مكان الدروس والإقراء، وقبله

(١) خلاصة الأثر ١٦٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سلك الدرر ٢٨١/٢ .

كان واليا دمشق نصوح باشا ثم حسين باشا قد أمرا بذلك . فصار مدرس كل مدرسة يباشر الإقراء ويوكل عنه من يقوم بالتدريس . واستقام ذلك قليلاً ثم عاد الأمر إلى سابق عهده . وكان الشيخ عبد الرحمن حين يقرأ ، يسرد العبارة فإذا صدر منه خلل في بعض المسائل أو غلط لا يقدر أحد على رده ؛ وكلهم من الأفاضل ، أجلاء صامتون ناصتون . وكانوا أحياناً يصححون له أماليه قبل أن يقرأها ثم عليها هو سرداً .

وشهد إيوان الشافعية فيها علي بن الحسين الشافعي المصري (١) نزيل دمشق . كان عالماً فاضلاً ملازماً لتقوى والصلاح حافظاً لكتاب الله . قطن أولاً بالمدرسة الاخنائية الكائنة قرب الجامع الأموي جانب السمساطية ، ثم تحول إلى المدرسة الجقمقية ، ثم إلى الظاهرية ، حيث أقرأ الأولاد القرآن الكريم ، كما أقرأ النحو وغيره .

أما كتب التراجم للقرن الثالث عشر (٢) فلم تضع يدنا في يد شيخ واحد درس أو سمع في الظاهرية لنفهم منه ما آلت إليه هذه المدرسة ، مما يدل على تضاؤل شأنها بعد عز وبعده صيت ، واقتصار شيوخها على تعليم الصبية وكأنها آلت إلى كتاب ، ولم يكن لها ذلك المركز الممتاز الذي تمتعت به قبل اندثار أوقافها على أيدي محتلسيها وذراريهم على مر الزمان .

(١) سلك الدرر ٣/٢١٣ .

(٢) كحلية البصر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار تحقيقي حفيده العالم الشيخ محمد بيحة .

والحق أن المدرسة الظاهرية كانت في هذا القرن تحتضر كمدرسة
للمذهبين ودار حديث ، وأقامت الحكومة التركية فيها مدرسة ابتدائية رسمية
تشرف عليها وزارة المعارف .

حتى إذا ما أشرف هذا القرن على نهايته ، وكادت ظاهريتنا تلفظ
أنفاسها ، أعادها الله إلى الحياة بروح جديدة وثوب جديد ، على يد طائفة
من العلماء الأجلاء ، أبرزهم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، ومنذئذ
عرفت بدار الكتب الظاهرية . ونابت مسيرها عبر الزمن لتؤدي الرسالة
التي أخذت على نفسها أداءها على خير وجه .

أسماء المحصي

(يتبع)



التعريف والنقد

التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ٢ -

الكتاب الأول

الرسول القائد

الطبعة الثالثة ، مطابع دار القلم — القاهرة ١٩٦٤ م

هذا كتاب جليل ، فيه تاريخ وفيه علم وفيه متعة ، يجدر بكل عربي ومسلم أن يقرأه ، كما يجدر بكل مؤرخ وعسكري أن يضمه إلى مكتبته ، حلل مؤلفه بعمق ، ودرس باخلاص ، الجانب العسكري من سيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، مثبتاً فيه مواهب الرسول العسكرية والإدارية ، كاشفاً عن عبقريته الفذة التي حققت النصر لجيوش المسلمين بتأييد من الله عز وجل .

أخرجت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٨ م المطبعة الإسلامية في بغداد في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط ، وتولى مؤلفه تقديمه إلى القراء قائلًا :

« لقد تحدث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول ﷺ بأسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها

- ٦٩١ -

ووقائها ودوافعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ وما هي الدروس التي نستفيدها من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الحيوية الملحة . إن وصف معارك القواد المسلمين ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ بهذا الأسلوب الذي لا يقنع باحثاً ولا يشفي غلة دارس ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعمال القواد غير المسلمين ... ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين ... بينما يدرس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين ! » .

ويعط اللواء خطاب الثام عما كشفه في سيرة الرسول الأعظم قائلاً :
 « لقد قرأت أكثر كتب السيرة في تدبر وإمعان ، وحاولت أن أستشف منها كل نواحي العظمة التي تتسم بها شخصية الرسول ﷺ ، ولكنني وجدت أن عبقريته العسكرية التي لا تتناول إليها أية عبقرية أخرى لأي قائد في القديم أو الحديث ، تكاد تكون متوارية محجوبة لم يتح لها من يكشف أسرارها ويجلي عظمها بأسلوب حديث ينجح إلى الكشف والتحليل وإبراز المواهب النادرة ، وخاصة من عسكري يستطيع أن يلم بنواحي العظمة العسكرية التي تكن فيها ويظهرها جلية للعيان . » .

وأخذ اللواء خطاب يعمل جاهداً لتأليف كتاب ، متوخياً فيه تنسيق المعلومات التاريخية وكل ما يتصل بالشؤون الحربية الواردة في كتب السيرة ، وعرضها من جديد بأسلوب بسيط ، فكان كتابه القيم « الرسول القائد » : وفي هذا الكتاب سجل المؤلف جميع الممارك التي خاضها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ ، عارضاً على قرائه الموقف العام لكل من المسلمين وخصومهم قبل كل معركة ، مبيناً عدد قوات كل منها وأهدافها الحربية ، متحدثاً عن سير الحوادث قبل القتال وأثناءه وبعده ، ومن ثم عن نتائج كل معركة

والدروس التي يمكن أن تستخلص منها من الناحية العسكرية ، ولقد أغفل المؤلف بعض الظواهر الخارقة والمعجزات النبوية التي لا يمكن أن تحدث في الحروب العادية بين فريقين متطاحنين من البشر ، وهي المعجزات والحوارق التي أيد الله بها نبيه الكريم ، أغفلها المؤلف لأنه لا يؤمن بها ، فهو رجل مسلم ، وتلك المعجزات والحوارق - كما يقول - « أمر يؤمن به كل مسلم ، وقد أثبتته القرآن بما لا يدع فيه مجالاً لشك أوربية » ولكن لأن « الحوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذي غلب به الرسول ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته كقائد ، وكيف يحتذي المسلمون سيرته ويتبعون في الحروب نهجه وسنته ، إذا لم يكن لفنه الحربي الأصيل ومواهبه العسكرية النادرة ، الأثر العظيم في ظفروه ونصره . إن الحوارق كانت إيذاناً للنبي بأن الله معه لا يتخلى عنه ، حتى يشحذ همته ويشير عزيمته وينبهه بكل ما فيه من حواس اليقظة إلى أعدائه المحارِبين » .

وينتهي اللواء خطاب في مقدمته إلى القول : « إن المسلم الصحيح هو الذي يقدر الرسول ﷺ حق قدره ، فيعترف بأن كفاءته ﷺ قائداً ممتازاً وكفاءة أصحابه جنوداً ممتازين ، هي التي أمّنت لهم النصر » .

وخرج كتاب « الرسول القائد » من المطبعة ، فقريء في العراق وبعض البلاد العربية ، غير أن ظروف طبعه عام ١٩٥٨ م لم تسمح للكتاب بأن ينتشر في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، مما دفع مؤلفه لإعادة طبعه ثانية فكتب مقدمة لهذه الطبعة قال فيها : « الله يعلم أنني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم . وأن أقضي واجباً كنت ولا أزال أشعر بشقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد بإظهار ناحية الجهاد في الإسلام مبسطة في جهاد النبي العربي العظيم ، لهذا وافقت على إعادة طبعه ليتيسر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد المسلمين » .

واشتد الطلب على هذا الكتاب ، بعد أن نفذت طبعته الثانية أيضاً ، فقامت « دار القلم » بإعادة طبعه طبعة جديدة مثقنة على ورق صقيل ، بعد أن أعاد المؤلف النظر في الطبعة السابقة فنقحها وزاد عليها بمض الشيء ، فأضحى الكتاب في نحو من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مزين بمدد من الخرائط والمخططات والرسوم التي توضح موضوعات الكتاب المتضمنة التاريخ الحربي للمسلمين منذ ظهور الإسلام حتى انقضاء عهد الرسول الكريم ﷺ .



قسم المؤلف كتابه إلى خمسة عشر فصلاً ، اختار لها من آي القرآن الكريم أو من وقائع التاريخ المناوين التالية :

١ - الحرب العادلة : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن معنى القتال في الإسلام ، وأنه ما شرع فيه إلا لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد السلام ، كما تكلم عن أهداف هذا القتال وأنواعه ، وكيفية تنظيمه ، وشروط التجنيد من أجله ، ومما أشار إليه المؤلف ، أن التجنيد في الإسلام كان يشمل النساء البالغات ، إلى أن قامت الدولة العباسية ، فأضاف الفقهاء « الذكورة » إلى شروط التجنيد ، ويطبق المؤلف على هذا الشرط قائلاً إنه : « انحراف لا يقره الإجماع » ، ولما ذكر « الإسلام » شرطاً آخر من تلك الشروط ، علق هذا الشرط قائلاً : « ليدافع - المجتهد - عن بلاد المسلمين عن عقيدة وإخلاص » ونرى أنه كان من المستحسن أن يشير المؤلف في تعليقه هذا إلى إمكان الاستثناء من هذا الشرط في ظروف معينة ، إذا ما رأى الإمام مصلحة للمسلمين تدعو إلى هذا الاستثناء ، وأهم هذه الظروف حالة

تطوع الذميين التي أشار المؤلف إليها في الفصل نفسه من الكتاب قائلاً :
« إن الإسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش ، والذي الذي
يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية » (١) .

ومما لفت نظرنا في هذا الفصل تعريف الحرب العادلة بأنها : « هي
التي توجه ضد شعب ارتكب ظالماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ،
ويشترط فيها : أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية ... » ولو أبدل المؤلف
- كما نرى - بكلمة « شعب » الأولى كلمة « دولة » لكان التعريف أرحم
بالشعوب والأمم فالظلم ليس من شيمها بمقدار ما هو من شيم « الدول »
التي تضمها ، أعني ملوكها وحكامها من الطغاة والمستبدين .

٢ - قبل نشوب القتال : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن الموقف
العسكري للمسلمين منذ قامت الدعوة إلى الإسلام سرّاً ، إلى أن تمّ تنظيم
صفوف المسلمين بعد هجرتهم إلى يثرب ، وأعطى القارىء فكرة واضحة
عن الموقف العسكري للمسلمين من جهة ولكل من المشركين والفرس والروم
من جهة ثانية ، وأجاب المؤلف ، في توضيحه الموقف العسكري للطرفين ،
كل من يتساءل عن هذه السرعة الفائقة التي تم بها الفتح الإسلامي وإقامة
دولة الإسلام العظيمة ، فقد كانت غلبة المسلمين - كما يرى المؤلف - أمراً
يحتّمه ذلك الموقف .

٣ - الدفاع عن العقيدة : خصّ المؤلف هذا الفصل بالكلام عن
دوريات القتال التي كان الرسول ﷺ يبعث بها من المدينة للنواحي بغاية
إشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين ، كي يتاح لهم القيام بنشر دعوتهم

(١) أنظر من ٣٣ .

والدفاع عن عقيدتهم باطمئنان ، وألحق المؤلف بهذا الفصل جدولاً مفيداً ذكر فيه بجانب اسم كل غزوة أو سرية بعثها الرسول الكريم اسم قائدها وقائد المشركين ، وتاريخ وقوعها ، والنتائج العسكرية التي أسفرت عنها .

٤ - **الصراع الحامم بين عقيدتين** في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن غزوة بدر الكبرى ، **المعركة الحاصمة الأولى** في تاريخ الإسلام ، وعن كل ما يتصل بها . فتحدث عن قوات الطرفين قبل المعركة وبعدها ، وعن غاية كل طرف منها ، وعن سير القتال وخسائرها ، وعن أسباب انتصار المسلمين المتمثلة في قيادة موحدة وتعبئة جديدة وعقيدة راسخة ومعنويات عالية ، وختم المؤلف الفصل ببيان الدروس المستفادة من هذه المعركة ، وبقائمة بأسماء شهداء بدر ومن شهدها من المسلمين على اختلاف قبائلهم .

٥ - **القاعدة الأمنية** : ويقصد المؤلف بها مدينة الرسول الكريم « يثرب » ، وقد بين في هذا الفصل كيف قام الرسول ﷺ بتطهير المدينة من اليهود بحصار بني قينقاع ، بعد أن أظهروا عداوتهم للإسلام ، ثم بين كيف فرض الحصار الاقتصادي على قريش بعدد من الغزوات ، وفي نهاية الفصل بين الدروس المستفادة من حركات التطهير هذه التي كانت « حرباً باردة » كما تسمى في المصطلح العسكري الحديث ، وبها تم للمسلمين جعل المدينة « قاعدة أمنية » للإسلام ، قم لهم بعدئذ الفوز والنصر المبين .

وكم سيصبح عمل المؤلف جليلاً بالغ القيمة لو استطاع - من أجل طبعة قادمة - القيام بزيارة الأماكن التي جرت فيها معارك المسلمين الهامة ، ثم وصفها لنا بدقة القائد الخبير بأرض المعركة ، على أنه يجدر به - على الأقل - القيام بتحقيق مواضع وأسماء الأماكن التي وردت في أبحاثه دون الاكتفاء في تحديد مواقعها بما ورد في معجم البلدان أو في كتاب الطبقات

لابن سمد ، أو في غيرها من المعاجم غير الموثوقة في المعلومات الجغرافية ، خاصة في مثل هذا العصر الذي تغيرت فيه معالم كثير من البلدان والأماكن أو بدلت أسماءها ، أو اختلفت تسميتها السياسية ، ولنضرب أمثلة على بعض أسماء الأماكن الواردة في ثنايا الكتاب نقنظفها من هذا الفصل ومن غيره من الفصول :

أ — في الصفحة ١٤٣ ورد ذكر بني قيسنقاع ، الذين تركوا المدينة وساروا نحو بلاد الشام حتى بلغوا « أذريعات » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين أجنادين والشام » وفي الصفحة ٢٣٦ في معرض الكلام على غزوة بني قريظة ورد أن اليهود عرضوا على النبي ﷺ الخروج إلى « أذريعات » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان : انظر معجم البلدان » .

إن البلدين المذكورين في العبارتين السابقتين مقصود بهما مدينة واحدة والصيغة الثانية أصح ، على ما ورد في أمهات العربية (١) ، وأذريعات ، بكسر الراء وقد تفتح ، مدينة سورية المجاورة للملكة الأردنية ، واسمها المشهور الآن الجمهورية العربية السورية المجاورة للملكة الأردنية ، واسمها المشهور الآن هو « دَرَعَا » بتسكين الراء .

ب — في الصفحة ٢٤٣ ورد ذكر سرية زيد بن حارثة إلى « حسمى » وعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « حسمى : أرض بادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وبين وادي القرى والمدينة ست ليال : انظر التفاصيل

(١) في تاج المروس : أذريعات بلد بالشام قرب البلقاء من أرض عمان تنسب إليه الحجر .. وقال يعقوب في البدا : بذريعات : م (٩)

معجم البلدان » . وأرض حسمى واضحة على خريطة المملكة العربية السعودية اليوم ، وهي واقعة غربي تبوك بينها وبين مدين على ساحل البحر الأحمر ، وقد أثبت اسمها على الخريطة بصيغة « حسماء » (١) .

هـ - في الصفحة ٢٩٥ عند الكلام على غزوة « مؤتة » قال المؤلف في الهامش : « مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان . وهي بأدى - أدنى - البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . انظر طبقات ابن سعد » . ومؤتة : موضع في الجنوب الشرقي من البحر الميت ، وهو اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية .

ز - في الصفحة ٣٨٧ ورد ذكر غزوة **تَبُوك** فعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . انظر التفاصيل في معجم البلدان » وكان من حق هذا الموضع الهام أن يشار إلى أن مدينة هامة تقوم فيه اليوم ، وهي من البلدان المعروفة في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية ، واقعة على الخط الحديدي الذي كان يصل دمشق بالمدينة .

ح - في الصفحة ٣٩٢ ورد ذكر **البلقاء** فنقل المؤلف عن معجم البلدان تعريفها قائلاً : « كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبها عمان » والبلقاء اليوم أهم محافظات المملكة الأردنية الهاشمية ، وأم مدنها عاصمة المملكة « عمان » . تليها السلط ثم مادبا .

(١) هذه الخريطة من أحدث وأدق المصورات للمملكة العربية السعودية وقد طبعتها حديثاً « شركة الزيت العربية السعودية » وفي تاج المروس : حسمى بالكسر مقصورة : أرض بالبادية بها جبال شواحق ملس الجوانب لا يكاد القنم يفارقها ... وإليها كانت سرية زيد بن حارثة ..

ط - في الصفحة ٣٩٣ ورد ذكر مصالحة المسلمين لصاحب « أيلة »
 ونقل المؤلف في الهامش عن معجم البلدان تعريف هذه المدينة فقال :
 « أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام وهي
 آخر الحجاز وأول الشام » وكان من الواجب بيان أن هذه المدينة تقع في
 شمالي ما يسمى اليوم بخليج العقبة وهي ميناء في أوض فلسطين المحتلة جنوبي
 النقب ، وكثاب العصر أصبحوا يرسمون اسمها تقليداً بصيغة « إيلات » .

ج - في الصفحة ٢٩٠ ورد ذكر يهود تيماء ، وعرف المؤلف هذه
 البلدة قائلاً : « تيماء : بلد في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى . انظر
 التفاصيل في معجم البلدان » وبلدة تيماء معروفة اليوم في جنوبي الحفرة في
 الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية ، وهي واقعة على الطريق
 الرئيسة بين المدينة وتبوك .

د - في الصفحة ٢٩١ عند الكلام على سريّة أبي بكر الصديق إلى بني
 كلاب في نجد ورد ذكر ناحية ضمرية « فعرفها المؤلف قائلاً : « ضرية :
 قرية في نجد غامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة . انظر
 التفاصيل في معجم البلدان » القرية المذكورة من قرى نجد المعروفة حتى
 اليوم وهي واضحة في خريطة المملكة العربية السعودية وتقع في الجنوب
 الغربي للقصيم شمالي الطريق الكبرى التي تصل الرياض بمكة .

و - في الصفحة ٢٩٦ عند الكلام على غزوة مؤتة ذكر وصول قوات
 المسلمين مَعَّان من أرض الشام ، وعرف المؤلف هذه البلدة قائلاً : « معان :
 مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، انظر التفاصيل
 في معجم البلدان » ومعان اليوم مدينة أردنية وهي مركز إحدى محافظات

المملكة الأردنية الهامة ، وتقع على الطريق الرئيسية الواصلة بين عمان وتبوك من جهة ، وبين عمان والعقبة من جهة ثانية .

٦ - النصر المفلوب : خص المؤلف هذا الفصل بغزوة أحد ، فتكلم فيه عن الموقف العام الذي كان عليه المسلمون والمشركون على السواء ، ثم تحدث عن سير القتال ونهاية المعركة مع بيان دقيق عن خسائر الطرفين ، وأسباب نكبة المسلمين ، والدروس المستفادة من هذه المعركة مع دراسة عميقة لتتائجها ، وهل كانت في حقيقتها انتصاراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، أم أنها كانت شيئاً آخر؟ وأعلن المؤلف رأيه صريحاً بقوله : أنا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (أحد) نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في المعركة ، ثم ناقش هذا الرأي مناقشة عسكرية رامة انتهى فيها إلى اثبات أن معركة أحد وإن كانت « نصراً تعبويّاً » للمشركين فإنها كانت « فشلاً سوقيّاً » لهم ، قائلاً : « ولا يهدى النصر التعبويّ شيئاً يذكر إلى جانب الفشل السوقي » .

٧ - إعادة النظام : في هذا الفصل تكلم المؤلف عن التطهير الجديد الذي اضطر المسلمون إليه بعد معركة أحد ، لكي يستعيدوا سمعتهم المتأززة لدى مختلف القبائل العربية ، وذلك بعد أن تكشفت لهم عيوب وعقبات ومشاكل داخلية وخارجية بسبب وجود منافقين بينهم وقيام يهود بالقرب منهم ، وبسبب ما قامت به قريش من تأليب العرب عليهم ، وقد بين المؤلف الغزوات التي قام بها المسلمون في سبيل إعادة النظام إلى صفوفهم ، مع تعداد الدروس المستفادة من تلك الغزوات ، وفي أولها ما أسماه « الابداع » المتمثل بسرعة الخطر في إعطاء القرار الحازم الصحيح في المواقف الحرجة ، وذلك من أجل سبق العدو في العمل وإرغامه على تبديل الخطة التي رسمها لنفسه ، وهو الأمر

الذي قام به الرسول ﷺ في هذه الفترة التي خصَّ المؤلف هذا الفصل بها ، مما يدلُّ مؤيدة من أعظم مزايا القائد الكفؤ .

٨ - هازم الأحزاب : خصَّ المؤلف هذا الفصل بـ « غزوة الخندق » وسير القتال فيها وأسباب فشل الأحزاب ، والدروس العسكرية المستفادة من هذه الغزوة ، وكيف انتقل المسلمون ، في اليوم الذي انتهت فيه ، من دور الدفاع إلى دور الهجوم ، مصداقاً لما قاله الرسول ﷺ يومئذ لأصحابه : « الآن نفزوم ولا يفزوننا » .

٩ - النصاص انماادل : وهذا فصل خصَّه المؤلف بحاسبة الفادرين من يهود ومشركين ، فتكلم فيه عن « غزوة بني قنينة » وغيرها من الغزوات ، والسرايا التي أمر بها الرسول ﷺ من أجل توطيد الأمن ونشديد الحصار الاقتصادي على المشركين ، ثم بين المؤلف الدروس المستفادة من كل تلك الغزوات والسرايا ومن أهمها ما يسمى بالمصطلح العسكري « المباءة » وهي من « أم مبادئ الحرب قديماً وحديثاً ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر » .

١٠ - الفتح القريب : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن « غزوة الخديبية » وعن الموقف الحربي العام بين المسلمين والمشركين ، وعن المفاوضات التي جرت بين هؤلاء وبين النبي ﷺ وانتهت بهدنة انبثق عنها « عهد الخديبية » ثم بين الدروس المستفادة من تلك الهدنة ، ومن أهمها ما أسماه في المصطلح العسكري « الضبب » وعنى به انجاز العمل المطلوب على أحسن وجه مع حبس الانفعالات الناجمة عن أي ظرف أو حالة من الحالات الصعبة التي تواجهها القوات المحاربة ، وأوضح المؤلف بعدئذ المزايا القيادية التي تحلى بها الرسول ﷺ ، والتي مهدت للفتح العظيم ومن ثم لانتشار الإسلام بالسرعة العظيمة التي انتشر بها .

١١ - **فترة الهدنة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن الثمرات التي جناها المسلمون من « عهد الحُدَيْبِيَّة » ، وعن « غزوة خيبر » التي أثمرت نهاية يهود من الجزيرة العربية ، كما تكلم عن سرايا تأديب الأعراب الذين كانوا يعيشون بالأمن فساداً ، يغيرون على المدن ويفدرون بالناس ؛ وأخيراً تكلم المؤلف عن الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون في هذه الفترة والدروس التي يمكن استخلاصها من كل واحدة منها ، ومن أم ما تم في الفترة المذكورة قيام النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه **كتب إلى ملوك الدول المجاورة** يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام ، ومنها أيضاً شروق شمس الإسلام على جميع أرجاء الجزيرة العربية .

١٢ --- **هودة المستضعفين** : في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن أولئك المسلمين الذين نزلت بحقهم الآية الكريمة : « وزيدُ أن آمنَ على الذين استضعفُوا في الأرضِ ونجعلُهُم أئمةً ونجعلُهُم الوارثين » كيف من الله عليهم بفتح مكة ، وكيف دخلوها أعزة بالإسلام بعد أن أخرجهم قومهم منها أذلة ، ثم يبين لنا الدروس المستفادة من معركة الفتح التي وصفها بقوله أنها كانت « **معركة معنويات وتخطيط سليم** ، أكثر منها « **معركة ميدان وقتال** » ، معركة انتهت بانتصار عقيدة التوحيد وتبسيط الأصنام التي كانت تعبد من دون الله .

١٣ - **استثمار الفوز** : وخص المؤلف هذا الفصل بالحديث عن « **غزوة حنين** » وبحصار الطائف وسرايا الدعوة ، والدروس المستفادة من كل ذلك .

١٤ - **مولد امبراطورية** : خص المؤلف الفصل الرابع عشر من كتابه بالكلام على « **غزوة تبوك** » ، الغزوة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش

الروم وأذنت بقيام « دولة الاسلام » وقد عالج المؤلف الأسباب المباشرة للغزوة وأسبابها غير المباشرة ، مبيناً أهمية الإستعدادات العسكرية والمصالحات التي قام بها الرسول ﷺ في سبيلها ، ثم تكلم عن « سوايا الدعوة » التي بعث بها إلى اليمن والشام ، وعن الدروس المستفادة من كل ذلك ، وفي طليعتها تطبيق مبدأ من أهم مبادئ الحرب الحديثة والمسمى « الحرب الجماعية » ، ذلك المبدأ الذي أوضحه قائد ألماني كبير من المعاصرين بقوله عن الحروب الحديثة : « إنها تقوم على حرب الأمم ضد الأمم ، ولهذا يجب أن تضع الأمة كل قواها الفعلية والأدوية والمادية في خدمة الحرب ، وأن تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية » .

١٥ — **التطبيق العملي** : واختتم اللواء خطاب كتابه « القائد الرسول » يبحث مقارن عن المبادئ التالية التي جاء بها القرآن الكريم والخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم ما يسمى بعصرنا الحديث بـ « الحرب العادلة » .

لقد ردّ المؤلف جميع الانتصارات العظيمة التي حققها جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ إلى عوامل عسكرية محضّة ، وهي إلى جانب تأييد الله عز وجل لمن اتبع دينه القويم ، تلخص في الأسباب الأربعة التالية :

أ — قيادة عبقرية .

ب — جنود ممتازون .

ج — حرب عادلة .

د — تردي الموقف العسكري لدى أعداء الإسلام .

وقد شرح المؤلف الكريم كل سبب من هذه الأسباب شرحاً وافياً ، مقارناً كل العوامل التي رافقت معارك الرسول ﷺ بأحدث الأساليب العسكرية ، مبيناً معنى كل مصطلح عسكري حديث استعمله في بحثه كالباغثة ، والاقتصاد

بالمجهود ، وتوفير الأمن ، والمرونة ، وسبق النظر ، والتعرض ، وإدامة المعنويات ، وحسن الإدارة وغيرها ، وكل ذلك بلغة مبسطة سهلة جدية بالإعجاب والتقدير .

وهكذا انتهى اللواء خطاب إلى القول بأن الأرض إنما يرثها عباد الله

الصالحون .

★ ★ ★

يوم بدأت في قراءة كتاب « الرسول القائد » وقفت طويلاً عند قول المؤلف في مقدمته للطبعة الثانية : « .. وسيجد القراء الكرام ، أن الحروب في الاسلام حروب دفاعية بكل ما في الكلمة من معنى ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد .. » وتَدَاعَتْ عليّ الأفكار أمام هذه الجملة التي اعتدنا قراءة ما تضمنته من معنى ، في كثير من الكتب والمقالات ، أو سماع مثلها في كثير من الخطب والمحاضرات ، وهي ترد عادة في معرض الدفاع عن صحة الاسلام ونفي ما يزعمه أعداؤه من أنه دين قام على الإكراه وإجبار الناس على الدخول فيه ، أو ترد في معرض الرد على من يزعم بأن دولة الاسلام ما قامت إلا على سواعد رجال بُدَاة أتقنوا صناعة الموت فحلموا السيف واجتاحوا البلاد المجاورة لهم ، فلما خضعت لقوتهم بعض الشعوب والدول ، أقاموا دولتهم على أنقاض ما هدموه من ممالك .

* *

إن فكرة « القتال في الاسلام حروب دفاعية لا هجوم فيها » فكرة تهزّ مشاعر السامعين وتطرب لها نفوسهم وتسكن إليها ، كلما سمعوها أو قرأوها رداً على هجمات أعداء الاسلام وخصومه ، إذ أن فيها تأكيداً على أن الدولة الاسلامية دولة إنسانية ، لا تحارب إلا حروباً عادلة دفاعاً عن نفسها ،

كما أن فيها إظهاراً لحقيقة الاسلام ، وأنه دين الرحمة والسلام ، لا إكراه فيه ولا اعتداء على أحد ، والله عز وجل يقول في محكم كتابه : « لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ » كما يقول : « وَقَاتِلُوا الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

ولكن هل الآيتان المذكورتان وآيات كثيرة ورد فيها النهي عن الاعتداء أو الأمر بالجنوح للسلم ما جرح أعداء الإسلام إليها ، توقف حكم آيات أخرى تأمر بـ « الجهاد » وتحث المسلمين عليه كقوله وهو أعز قائل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، بِأَنْ لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ؟ وهل حكم الجهاد - الذي يدعو الإسلام إليه منسوخ بحكم الآيات التي تحرم الاعتداء ؟ أو هل أن الجهاد في الإسلام يتمثل في دفع المعتدين فقط ، ولا يشمل هجوماً على عدو لم يبدأ المسلمين بقتال أو ما في حكمه ؟

يكاد الاتفاق بين علماء المسلمين يكون تاماً على أن آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ليس فيها حكم منسوخ ، بل كلها محكم يجب العمل به ، خاصة وأن أكثر آيات الجهاد وردت في سورة التوبة وهي من آخر سور القرآن نزولاً ، كما أنه ليس في أسباب نزول أو في نصوص آيات الأمر بالامتناع عن الاعتداء أو الإكراه في الدين ، ما يستفاد منه أي تخصيص أو تقييد لعموم وإطلاق تلك الآيات ، أي لا يمكن الاستدلال من النصوص بأن آيات الجهاد في القرآن الكريم مخصصة أو مقيدة بآيات أخرى ، وبالتالي

لا يمكن القول اعتماداً على النصوص بأن القتال في الإسلام لا يكون إلا دفاعاً لردِّ اعتداء بُدئ فيه ، أو بتعبير آخر لا يمكن القول اعتماداً على النصوص القرآنية بأن الحرب الهجومية محرمة في الإسلام .

حقاً إن الإسلام - كما هو صريح النصوص القرآنية - يدعو للإسلام ويأمر بالجنوح للسلم كلما جنح الأعداء لها ، وحقاً إن الإسلام يحرم الاعتداء ويأمر بعدم مقاتلة غير المقاتلين ، كما أنه ينهى عن تجاوز حدود القتال بقتل غير المحاربين أطفالاً كانوا أو نساءً أو شيوخاً أو رجال دين ، ولكن هل الجهاد في سبيل الله الذي وصفه الرسول ﷺ : بأنه إحدى شعب الإيمان الثلاث ، ينحصر في دفع الاعتداء فقط ، ولا يباح فيه قتال من لم يبدأ القتال الفعلي ؟

يرى فريق كبير من علماء المسلمين ، الذين عالجوا هذا الموضوع في هذا العصر ، أن الجهاد هو الدعوة إلى الإسلام والقتال في سبيل هذه الدعوة حتى تنزل الأمم والشعوب على حكم الإسلام ، فإذا نزلت ، فالناس لا يكرهون على الدخول في الإسلام ولكل امرئ عندئذ الدين الذي يرتضيه ، وبعبارة أخرى : الجهاد لا يكون لإكراه الناس على أن يكونوا مسلمين ، بل هو إهلاء لكلمة الله ودعم لدولة الإسلام ، لذلك فالجهاد كما يكون حرباً دفاعية يكون حرباً وقائية ، وقد يكون حرباً هجومية يبدأ المسلمون فيها بالقتال كلما اضطروا لها أو وجدوا مصلحة للإسلام فيها . كما يرى هؤلاء العلماء أنفسهم ، أن فكرة « الحرب الدفاعية » وصفاً للقتال الذي شرعه الإسلام ، ليست فكرة إسلامية أصيلة ، بل هي فكرة حديثة طارئة نجمت عن احتكاك المسلمين بالإفرنج ، بعد عصور طويلة من الانحطاط والضعف ، فلما بدأ المسلمون نهضتهم الحديثة في القرن

الماضي ، وأخذوا يقرأون ما كتبه الأوربيون عنهم ورأوا المستشرقين منهم خاصة يخوضون في أحكام الجهاد في الاسلام ، وبعضهم ينمي على الاسلام تلك الأحكام ، ويصمه بالوحشية مفترياً عليه بأنه قام على إكراه الناس حتى يكونوا مسلمين ، قام المتنورون من علماء المسلمين يدافعون عن دينهم بتزويه الجهاد عن أن يكون غير حوب دفاعية لا هجوم فيها ولا اعتداء ، غافلين عما قد ينجم عن هذا الدفاع من إضعاف لمعنى الجهاد وخط من شأنه في دعم دولة الاسلام .

وقد وصل الشك بالمستشرقين ، عند بعض أولئك العلماء ، إلى اتهامهم بدس فكرة « الجهاد حوب دفاعية » على المسلمين ليقولوا بها ، حتى يُفقدوا الجهاد سلطانه على المسلمين ويبطل مسخره في جماهيرهم ، لأن بعض ملوك المسلمين بعد أن تجزأت دولة الإسلام إلى ممالك وإمارات لا تجمع بين شعوبها إلا رابطة الدين ، كانوا يهتمون بسلاح التهديد بـ « إعلان الجهاد » تجاه مطامع الدول الأوربية في بلادهم ، كما كان بعضهم يلجأ إلى إعلان هذا الجهاد كلما اشتبك بحرب مع دولة من الدول الأجنبية . والشاكتون بكون المستشرقين أول من قال بالفكرة المذكورة ، لا يفرقون بين أن يكون أول من جرت على قلمه الفكرة ، إن كان من المستشرقين ، حسن النية كتبها وهو يعتقد بأنه ينصف الإسلام بها تجاه افتراء علماء قومه ، أو أنه كان « سيء النية » دس الفكرة لتنتشر بين المسلمين فينفل سلاح ملوكهم ويفقدوا قوة كامنة في العالم الإسلامي كانت تهرب أصحاب المطامع الصليبية .

لقد كان من حق التأريخ أن يتفرغ متخصص لدراسة حقيقة منشأ الفكرة المشار إليها ، لتعرف وجه الصواب في الدافع إليها ، غير أن أكثر العلماء المسلمين المعاصرين الذين تعرضوا لدراسة موضوع الجهاد في الإسلام ،

أخذوا فكرة « القتال في الإسلام حروب دفاعية » وكأنها فكرة مسلم بها ، استناداً إلى الآيات القرآنية التي تحرم الاعتداء ، وتنهى عن قتال من لم يبدأ المسلمين بالقتال ، حتى إذا ما صدر الجزء الأول من أضخم كتاب في الفقه الإسلامي يبحث فيما يسمى « العلاقات الدولية » تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني (١) ، قام الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة ، الذي كتب مقدمة قيمة لهذا الكتاب ، بتريده فكرة « الحرب الدفاعية » محاولاً تفسيرها بتوسيع مفهومها حتى يتلاءم مع مفهوم « الجهاد » فقال (٢) : [.. ومن أجل ذلك شرع القتال في الإسلام ، فقد شرع على أنه أساس لدفع الاعتداء ، قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ونرى في هذا النص الكريم دلالة على أمرين جليين : أحدهما — أن القتال في الإسلام إنما أيسح لرد الاعتداء بمثله ، فهو لا يقاتل إلا الذين يعتدون على أهله ويقاتلونهم . الأمر الثاني — أن يلاحظ من يرد الاعتداء أنه أيسح له القدر الضروري للدفاع ، فلا يصح له أن يمتدي فلا يتجاوز حد الدفاع ...] ومن ثم يستقرى الأستاذ أبو زهرة حروب النبي ﷺ فيجدها كانت لأحد أمرين :

(١) كتاب « السير الكبير » للإمام الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ بفرح الإمام السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ . وقد بدأت جامعة القاهرة بطبعه بطلب من « الجمعية الشيبانية » التي ألفت في أوربة لإحياء ذكرى الإمام الشيباني باعتباره أول من خص القانون الدولي العام بكتاب مستقل ، وقد مهد طبعة جامعة القاهرة وعاق عليها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وحقق نصوصه الأستاذ مصطفى زيد ، وقد صدر الجزء الأول من الكتاب سنة ١٩٥٨ م . هذا وإن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية قام أيضاً بنشر ثلاثة أجزاء من الكتاب نفسه بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢) انظر الصفحات ٤٤ - ٦١ من طبعة جامعة القاهرة من الجزء الأول لكتاب « السير الكبير » .

[أولهما : اعتداء بالفصل من الذين قاتلهم ... وليس من اللازم أن يقع الاعتداء بالفصل ، بل قد يكون السب هو العمل على الاعتداء ... الأمر الثاني : .. أن يقف الملوك والأمراء محازرين دون الدعوة الإسلامية ، فإنه لا بد للحق من دعاية إليه وأن يكون الناس أحراراً في اعتناقه ..] إلى أن يقول : [يقرر الجمهور الأعظم من الفقهاء أن القتال في الإسلام ما أيسح للغلبة ولا للمخالفة في الدين ، إنما أيسح لدفع الاعتداء ...] على أن الأستاذ أبا زهرة ينتهي في كلامه على مفهوم القتال في الإسلام ؛ إلى القول : [وإنه بمقتضى القواعد المقررة في الإسلام : لا يمكن أن تكون الحرب فيه لغير الدفاع وإن لبس الدفاع لبوس المهجوم ..] .

★ ★ ★

كانت كل هذه الأفكار حول فكرة « القتال في الإسلام لا يكون إلا دفاعاً » تدور في ذهني وأنا أقرأ مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الرسول القائد » ورجوت في نفسي أن يكون المؤلف موقفاً في معالجة الفكرة المذكورة ، فينتهي بنا إلى ما يتفق وحقيقة أحكام الجهاد في الإسلام . إن اللواء خطاب ، وهو العسكري الذي يدون تاريخ الحرب في الإسلام ، تبنى في مقدمة كتابه المذكور فكرة « القتال في الإسلام حرب دفاعية » من وجهة عسكرية بحتة ، موضحاً إياها بقوله إن المسلمين لا يبدأون في حروبهم « بالإعتداء على أحد ، ولا يريدون من ورائها إلا حماية نشر الدعوة » وبعد أن درس « أهداف القتال في الإسلام » ردّ على الفلاة الذين يرون أن من غايات الجهاد في الإسلام نشر الدعوة قائلاً : « إن القول بأن غرض القتال في الإسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غرض القتال

هو حماية حرية نشر الدعوة ، وشتان بين الفرضين ! ومع أن الحرب الإسلامية دفاعية ، لأنها بعيدة عن الظلم والمدوان ، إلا أن هذا الدفاع غير مُستَكن ، بل هو دفاع تعرّضي ، كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين (١) .

وهكذا يكون اللواء خطاب ، في تفسيره معنى « الحرب الدفاعية » أول من يمطي هذه الحرب أقرب معاني « الجهاد في الاسلام » فإنها كما عرفتها تشمل الفايات التي شرع القتال في الاسلام من أجلها ، وإن ظلت في ظاهرها دون « الجهاد » في حقيقته .

عمرناه الخطيب

(يتبع)



(١) النظر ص ٤٧١ من الكتاب .

Description de l'Afrique Septentrional

Traduite par Mac Guckin de Slane

Édition revue et corrigée

Paris 1965

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : تأليف أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ . طبع في باريز طبعة ثانية منقحة سنة ١٩٦٥ مع ترجمة افرنسية .

هذا الكتاب هو قطعة من كتاب المسالك والممالك للبكري جمع فيه المؤلف أخبار بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه . والمؤلف هو شاعر وأديب ، ومؤرخ ثقة وجغرافي نابغ جمع فيه من أوثق مصادر زمانه أخبار بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه ، وله كتب جليلة ومنزلة علمية محترمة . كان ملوك الأندلس يتهادون كتبه ويتنازعون صحبته . وأهم مؤلفاته كتاب (المسالك والممالك) الذي أفرد منه هذا الجزء . وصف فيه بلاد طرابلس وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغانة ، ذكر مدنها المشهورة ، والمسافات فيما بينها ، وأتى على ذكر سيرة أهلها وعاداتهم ، ودون كل طريف عن أحوال هذه البلاد .

وكان المستشرق الفرنسي كترمير (Quatremère) أول من فطن إلى قيمة هذا الكتاب العلمية واهتدى إلى مؤلفه ، ونبه إليه أنظار المستشرقين والجغرافيين إلى أهمية المعلومات والأخبار التي تضمنها الكتاب عن البلاد التي وصفها .

نشر المستشرق المذكور في سنة ١٨٣١ ترجمة موجزة لهذا الجزء ،
فاشتهر بعدها الكتاب وتطلعت اليه الأنظار . ثم قام دوسلان de Slane بترجمة
ثانية كاملة لهذا الجزء ، بعد أن ظفر بعدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب
واهتمدى إلى مراجع ساعدته على تصحيح الأخطاء وتدارك النقص فيها وتوضيح
غوامضها ، وقد وفق في محاولته على الوجه الأكمل واستحق على ذلك
الثناء والتقدير .

• ع • ع



الشهداء الحميريون العرب ، في الوثائق السريانية

تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، طبع سنة ١٩٦٦ م

هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألو ف من الرجال والنساء والأطفال الذين
استشهدوا في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها ، وبذل الأرواح دونها
وقد حقق فيه المؤلف العلامة أرثوذكسية النصارى الحميريين ورد على الأب
أنطون صالحاني اليسوعي (ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبري) القائل
ان نصارى نجران لذلك العصر ، كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي
منتهى الامتسك ، ناقلاً تحقيقه هذا عن كتابه (تاريخ الكنيسة السريانية
الانطاكية) (ج ٢ ص ١٩٥) وعن غيره من المؤلفين .

وقد ذكر المؤلف في الفصل الرابع من الباب الأول (ص ١٣) وفي غيره من فصول الكتاب ، الحوار المدني دواوين الشهداء من رجال ونساء ، وبين مسروق اليهودي الذي تملك على اليمن فقد كان يضطهد مسيحي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بألوهية المسيح ويقولوا انه إنسان لا إله ، قائلاً : إنكم إنما تسجدون لشخص مائت ، ادعى أنه ابن الله الرحمن في حين انه إنسان . . . ها ان الروم قد أدركوا الآن ان المسيح كان إنساناً بحتاً ، فما بالكم أتم الآن تذلون وراءه ؟ ألعلمكم أفضل من الروم ؟ إننا لسنا نسألكم أن تكفروا بالله خالق السماء والأرض ، ولا أن تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات ، أو لإحدى المخلوقات ، بل أن تكفروا بالمسيح الذي حسب نفسه إلهاً ، وتقولوا انه إنسان فقط ، لا إله ، ولم يريدوا أن يكفروا بالمسيح وأن يقولوا انه إنسان ولكنهم قالوا في جنونهم انه الإله وابن الرحمن (ص ١٣) .

وإن من يقرأ بتدبر وإمعان قول مسروق الملك اليهودي ، ومخالفة النصراني له ، يعلم أن لا خلاف في الحقيقة بينهم ، إذ ان مسروقاً لم يدعهم إلى عبادة نفسه ولا عبادة غيره من المخلوقات ، بل دعاهم إلى عبادة خالق الأرض والسماوات رب العالمين ، حيث ان نسطور السرياني الذي جلس على كرسي بطريركية القسطنطينية في سنة ٤٤٨ ز وما عثم أن صرح — خلافاً للتقليد الكنسي بأن المذراء مريم لن تلد كلمة الله ، بل إنساناً بحتاً هو المسيح ، لذلك لا يجوز أن تدعى والدة الإله ، أما المسيح فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله ، بل إنساناً (ص ١٠) .

وقد كان عدد الأحباش الذين قتلهم الملك اليهودي نحو خمسمائة رجل دعاهم إلى الكفر بألوهية الإنسان فلم يقبلوا . م (١٠)

وقد أحرق الملك اليهودي في نجران الكنيسة ومن دخلها من النصارى وكانوا نحو الألفين ، وأحرقوا النساء ، كما فعل بالأشباع من الرجال (ص ٢٦) منه ثم قتل راهبات والشابات المتزوجات بعد قتل الرجال ، وكان ذلك كله في سبيل دعوى ألوهية المسيح وصلبه ، لا في سبيل المسيح نفسه . وقد دعا مسروق أحد قواده دايزن ، وأمره بجمع نساء نجران اللاتي قتل أزواجهن فبلغن (١٧٧) امرأة ، وأخذ ذويزن ينصحن ويحذرهن وينذرهن لكيلا يقمن بالمصيان كأزواجهن فيكون مصيرهن كمصيرهم ، فأجبن بصوت واحد قائلات : حاشا لنا أن نكفر بربنا وإلهنا يسوع المسيح لأنه الإله والخالق الكل وعقيدة الاسلام بالسيد المسيح معروفة .

ولغبطة البطريرك الشكر على هديته وعلى الوثائق التاريخية التي عالج مضمونها في كفاية .

محمد بن عبد الله البطار



أعلام العرب في العلوم والفنون

تأليف : عبدالصاحب عمران الدجيلي

الجزء الأول - عدد صفحاته ٣١٦

الطبعة الثانية - بمطبعة النعمان - النجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

هذا كتاب في التراجم، مرتب على التأريخ الزمني، فقد بدأ المؤلف بحثه بمقدمة، ذكر فيها لمحة عن العرب قبل الإسلام، والجاهلية والإسلام، فتدوين القرآن والحديث فالفقه والكلام والتفسير، فاللغة العربية، فالآداب والفنون، فالأنساب والتاريخ والجغرافية والموسوعات، فالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية.

ثم ترجم ثلثة وستة وثلاثين من الأعلام العرب، المختلفة الثقافات، والمتشعبة النواحي والاختصاصات، مرتبة على قدم الوفاة، فبدأ بأبي الأسود ظالم بن عمر الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ، وانتهى بمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١ هـ.

والمطالع لهؤلاء المترجمين يجد كثيراً منهم مشاركين في أنواع من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصورهم، ومنهم من برز في ناحية معينة من المعارف بالرغم من مشاركتهم في كثير من فروع العلم.

فتجد من هؤلاء في هذا الجزء المؤرخ والجغرافي والنسابة واللغوي والفقيه والمتكلم والمحدث والمفسر والحكيم والرياضي والفلكي والطبيعي والكياوي والطبيب الخ ...

والطريقة التي اتبعها المصنف في ترجمة الملتم، فقد ذكر في صدر الترجمة اسم العلم أو لقبه أو كنيته بحسب ما اشتهر به، مع تأريخ ولادته ووفاته

بالتاريخ الهجري ، ثم أورد مصنفاته المطبوعة والمخطوطة ، وأبان بمض ما غمض من البحث ، فشرحه في حواشي الكتاب ، ثم أورد المصادر والمراجع التي اعتمدها في طلب الترجمة .

وقد اعتذر المؤلف على اقتصاره على ذكر الأعلام العرب المصنفين بقوله : وإذا كان الكتاب قد اقتصر على العرب ، فليس معنى ذلك تجاهل الآخرين أو الغض منهم ، ذلك لأننا ننظر باكبار إلى كل من خدم العلم والفكر أو اللغة . وزى من الفائدة قبل أن نختم هذه الكلمة أن نبدي بعض الملاحظات على هذا الكتاب فنقول : ان عنوان الكتاب « أعلام العرب في العلوم والفنون » لا ينطبق تمام الانطباق على ما حواه من أبحاث ، فلو استبدل ذلك بعنوان « من أعلام العرب في الشريعة والعلوم والآداب » لكان أقرب مطابقة لموضوعه .

وأما ترتيب المؤلف كتابه على التاريخ الزمني حرصاً على ما ظهر فيه من رجالات ومؤلفات بحسب أعصارها وأدوارها ، فهذا ينطبق على التراجم ذات الموضوع الواحد كتراجم رجال الطب أو الفلك أو الفقه الخ فنستطيع بترتيب التراجم على التاريخ الزمني أن نلمس تطور العلم الذي يزيد تأريخه وبجته ، وأما موضوع كالموضوع الذي نحن في صدده ، متشعب النواحي ، متباين الاختصاصات ، فأحسن ترتيب له هو الترتيب المعجمي .

كما نستحسن أن يضاف إلى التاريخ الهجري التاريخ الميلادي تسهيلاً للباحث . وبانختم نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهود في تأليف ونشر هذا الكتاب القيم .

دمشق : عمر رضا كحالة



تاريخ المغرب

تأليف : عبد العزيز بتعبد الله

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٣٦ - ٨٠

نمر : مكتبة السلام ومكتبة المعارف بالمغرب

يتألف هذا الجزء من ١٦ فصلاً وهي :

- (١) قيام الدولة العلوية (١) وتجديد وحدة المغرب .
- (٢) تطور المغرب في العهد الإسماعيلي (٢) ، وقد ذكر المؤلف فيه الجيش ومحاربة الأجانب ، وبدء حركة التحرير ، ووحدة المغرب وجمع أشقائه ، وظل هذا الملك يكافح في سبيل ذلك أكثر من ربع قرن (١٠٨٣-١١١١هـ) فكان من أبرز الملوك الذين حظي بهم المغرب .

٣ - عهد الفترة وفيه ظهرت الفلاقل والاضطرابات فقد تولى فيه ثلاثة من الأمراء على العرش الذي اعتلاه المولى عبد الله ست مرات (٣) .

- (٤) عهد الاستقرار والازدهار (١١٧١ - ١٢٠٤هـ) وفي هذا العهد عرف المغرب شيئاً غير يسير من الاستقرار والازدهار ، فقد تمكنت البلاد من تثبيت وحدتها وتحرير عدد من المراكز الأجنبية في ربوعها ، وأضحت

(١) هي من أصل حسني من ينسب النخل بالحجاز ، وأول من دخل منهم إلى المغرب هو حسن بن قاسم ، أواخر القرن السابع الهجري ، وأول فائدة سياسي من حفدة الحسن المذكور هو مولاي علي الفريف الذي ألام بناس وجاهد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) نسبة لمولاي إسماعيل أحد ملوك هذه الدولة .

(٣) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٢٥ - ٣٢ .

جيوشها وأساطيلها حاجزاً منيعاً في وجه الغزو الأجنبي ، ونظمت الدولة والجيش وساد الأمن ، وانتشر العمران .

(٥) ثورة العبيد وأزمة ولاية العهد (١) ، فلم يكن يبرغ فجر سنة ١١٨٩ هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد ، وقد استمرت هذه الفتنة سبع سنوات (١١٩٠ - ١١٩٦ هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة .

(٦) المغرب والاستعمار الفرنسي بالجزائر .

(٧) محمد الرابع فذكر سياسته الخارجية والداخلية .

(٨) الحسن الأول الذي بويع بمراكش في رجب ١٢٩٠ هـ ، وذكر

اعتناؤه بالجيش وسياسته الخارجية .

(٩) النظام السياسي والإداري قبل الحماية الفرنسية ، فذكر العملات

والهيئة الوزارية والحكام والقضاة والحسبة .

(١٠) الصحراء المغربية ، ذكر حدودها ، وتاريخها القديم والحديث .

(١١) الثقافة والفن ، ذكر المدارس والتعليم والأبنية المدنية والعسكرية .

(١٢) أسباب الحماية الفرنسية .

(١٣) المقاومة المسلحة . ذكر تلك المقاومة في الأطلس والصحراء

والشمال والجنوب وفي الريف المغربي الخ...

(١٤) الحماية الفرنسية (١٩١٢ - ١٩٣٥ م) ذكر في هذا العهد

التنظيم البلدي وموارد الدولة والعملة والمدنية والقضاء الأوربي والتعليم والصحة

العمومية والتطور الاقتصادي .

(١) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٤٢ - ٥١ .

(١٥) الكفاح السياسي ، ذكر تأسيس بعض الأحزاب السياسية كحزب الكتلة الوطنية الذي كان يؤجج الحماس في الشعب كما ينور الفكر العام في أوروبا والشرق عن طريق طلبة فرنسا ، ولجنة الدفاع عن المغرب بالقاهرة .

(١٦) ثورة الملك والشعب .. وختمه بقوله : وانصاعت باريز إلى مطامح الملك (محمد الخامس) والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر يوم ١٦ يونية (حزيران) ١٩٥٥ م إلى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب .

وقد ألحق الأستاذ المصنف كتابه تاريخ المغرب ، بمعجم تاريخي في ٨٠ صفحة ذكر فيه أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة على حروف المعجم ، وهي معلومات إضافية لم تذكر في كتابيه « معطيات الحضارة المغربية ، وتاريخ المغرب » ، وبذلك قد قدم خدمة جلى للعاملين في التاريخ جزاه الله كل خير .

ع . ك .



رحلة الشتاء والصيف

تأليف: محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الشيرب « بكبريت »

حقيقه وقدمه وفهرسه الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي

كتاب من القطع المتوسط في « ٣٦٢ » صفحة نشره المكتب الاسلامي

للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ

الأستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف من كرام العلماء الحجازيين وهو من خيرة رجال العرب هذه الأيام لكثرة ما أتخف العالم العربي من خدمات علمية جميلة في طباعة الكتب ونشرها والإنفاق عليها ؛ وهذا الكتاب مأثرة من مآثر هذا الرجل الكبير ، وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ الأديب محمد سعيد الطنطاوي الذي قال في وصفه « وهذا الكتاب الذي بين يديك من هذا النمط يصلح للعلماء ويسهل على العامة يستسيغه ابن الخامسة عشرة ويحتاج اليه خريج الجامعة » ، وهو يقصد بهذا الرأي إلى أن الكتاب يتضمن العلم ، إلى جانب اللذة والإيناس ، فهو من الكتب النادرة التي تعين القارئ على إنجاز بلذة وهدوء دونما ملل أو إرهاق ، وهو في الحقيقة من كتب الرحلات التي تنتقل بالقارئ من مكان إلى آخر يبحث لا يجد الملل اليه سبيلاً ، لتنوع مناظر الكتاب واختلاف ألوانه وفصوله . فانت تسير بين صفحاته من شعر إلى نثر إلى قصة إلى وصف ، والكتاب في رأيي أشبه بالقصص لأن ما فيه من حوادث توحى إليك ببعدها عن الواقع والحقيقة مما يجعلنا نعتقد بأن الخيال قد عمل عمله في السرد ، وأن الاختراع قد تدخل في الموضوع ، كما رأينا في قصة روبنسن كروزو وغيرها من القصص التي يقصد فيها إلى اللذة

والحقيقة في آن واحد . وقد كتبها في وصف رحلة قام بها إلى بلاد الروم وذكر فيها ما وقع له في سفرته هذه من العجائب كما قال صاحب المقدمة .

ويلى المقدمة ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للمحبي الدمشقي وفيها يصل نسب المؤلف إلى علي ابن أبي طالب « رض » كما أورد فيها طائفة من شعر المؤلف ونثره ، وينتهي الكتاب بعدد من الفهارس : للآيات والأحاديث والكتب والأمكنة والأعلام وأبجدي للشعر وأبجدي عام لمراحل الرحلة .

ولكن الذي لفت نظرنا حقاً هو الشروح التي وردت في ذيل كل صفحة من الكتاب فهي شروح وافية دقيقة تستحق الإعجاب والاطمئنان إلى ماورد فيها من معلومات وهي بقلم المحقق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي . وإنا لنشارك صاحب المقدمة الرأي بجدوى قراءة هذا الكتاب الطريف لما فيه من معرفة ولذة قد لا توجدان إلا مصادفة ، وفي عدد نادر من الكتب المطبوعة هذه الأيام .

أحمد الجندبي



ديوان الناصري

« الجزء الثاني »

جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته (٣١٠) من القطع المتوسط

من مطبوعات مطبعة العاني - بغداد عام ١٩٦٦

هذا هو الجزء الثاني من ديوان الشاعر العراقي الشاب المرحوم عبد القادر رشيد الناصري ، ولقد سبق أن صدر الجزء الأول من الديوان صديق الشاعر الأديب السيد كامل خميس ، وهو يشتمل على نصف شعر الشاعر ، أما هذا الجزء الثاني فأنيق الشكل والطباعة وقد زين بصورة الشاعر وبموضوع من خطه مما يجعل الديوان ويضيف إليه ما يغري باقتنائه وقراءته . وقد كتب المقدمة أحد الناشرين الأستاذ هلال ناجي وهي كلمة جمع فيها آراء الأدباء العرب بالشاعر ، كما تعرض فيها لنقد طريقة الأستاذ كامل خميس في جمع وإصدار الجزء الأول من الديوان ، وبين منهجه الجديد في ترتيب هذا الجزء الثاني . ولقد كنا نتمنى أن لاتكتب الملاحظات النقدية التي وردت في هذه المقدمة ، والتي يمكن أن تؤذي سمعة الشاعر في هدأته الأبدية ، من مثل تحويره القصائد ونقل الموضوع من وصف البصرة إلى وصف دمشق . والسراقات التي اتهم بها الشاعر في هجومه على شعر السيد سالم أحمد الأعظمي فقد كان أولى لكاتب المقدمة أن يؤجل هذه الملاحظات ليثبتها في دراسة خاصة يترجم فيها الشاعر ويدرس أدبه دراسة وافية تاريخية يمكن أن يقال فيها كل شيء وبصراحة تفيد التاريخ الأدبي بدل أن تكون نقداً في مقدمة ديوانه خاصة وان كاتب المقدمة قد ساهم في اتهام الشاعر بالسرقة الشعرية كما جاء في الصفحة (١٢) من المقدمة .

والشاعر الناصري من شعراء الشباب الذين حافظوا على طريقة النظم العربية كما نقلت عن القدماء فهو محافظ على الوزن والأسلوب المريين وهو ينظم شعره مضبوطاً من ناحية اللغة والنحو على قدر ما يستطيع ، وبغني هذا أن تجديده ، إن كان له جديد ، قد استقر على المعاني التي تناسب العصر ولم يصل رأيه في التجديد إلى محاولة تحوير القوالب والقواعد اللغوية والصرفية والنحوية والعروضية ، وقد رأى كاتب المقدمة أن الشاعر قد تأثر بالأدب الغربي عن طريق شعراء مصر المجددين كالدكتور ناجي وعلي محمود طه وبعض الشعراء اللبنانيين المستغربين - من الغرب - كإلياس أبي شبكة ولكنني لا أعتقد بصحة التأثير بالواسطة ، والشاعر الذي يتأثر حقيقة هو الذي يقرأ الأدب « المؤثر » بلفظه الأصلية ، ولا بد أن يكون ذا قابلية للتأثير فإن من الشعراء من لا يتأثرون إلا بذاتهم ، والتأثر الذي عناه صاحب المقدمة أقرب عندي إلى ما يسمى بالتقليد . ولعل هذا التقليد لم يتجاوز العناوين كما في : نهم ، والهيكل المستباح ، إشتهاء ، والشباب الدامي ، وغير هذه من القصائد . ولم ينس الشاعر الناحية السياسية فقد تحدث في الاجتماع والسياسة وبخاصة فلسطين والجزائر .

على أن شعر الناصري يتحلى بصفة السهولة والموسيقى اللفظية ، وربما وجد فيه قارئه لذة فنية قد لا يجد منها كثيراً في الشعر العربي الحديث .

أ.ج. .



المنتخب من شعر ابن زاكور

عمل عبد الله كنون الحسني

طبع دار المعارف بمصر من سلسلة « ذخائر العرب » عام ١٩٦٦

عدد صفحاته (١٤٦)

الأستاذ عبد الله كنون الحسني عضو جمع اللغة العربية بدمشق عالم كبير وعلامة شهير خدم اللغة العربية خدمات لا تنسى ، وقد جمع ، حفظه الله ، إلى العلم الغزير ، دقة النظر والقدرة على التمييز والتثبت مما يقرأ ويكتب ومن أعماله الكثيرة الأخيرة إصداره هذا الكتاب الذي جمع طائفة من شعر ابن زاكور الشاعر المغربي المعروف ، وقد أوضح في المقدمة التي وضعها لهذه المنتخبات الشعرية أن سبب طبع الكتاب هو المشاركة في إحياء الآداب المغربية التي « ظلت منسية طيلة الثلاثة عشر قرناً الماضية » على حد قوله . وقد قدم لنا العلامة ترجمة مفيدة للشاعر ابن زاكور ، وصفه فيها بأنه « مفخرة عصره وجيله ، ونابغة بلده وقبيله » وأنه « كان كاتباً وشاعراً ولنوباً ومؤلفاً » وينتهي الكتاب بخاتمة صغيرة ثم بفهرس للموضوعات وآخر للقصائد والأبيات .

وابن زاكور فاسي المولد والنشأة أخذ العلم عن مشايخها ومشايخ مراکش وتطوان والجزائر ، وقد بدأت حياته في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة فكان تاريخ ولادته بعام ١٠٧٥ هـ تقديراً ، كما كانت وفاته عام ١١٢٠ هـ فهو كما ترى لم يعيش طويلاً بل مات في عنفوان شبابه .

وقد كان كثير الرحلات في طلب العلم والثقافة مما كان له الأثر الأكبر في اتساع ثقافته واكتمال معارفه . وترك رغم اختصار حياته ، ستة عشر

مؤلفاً في الأدب والشعر واللغة نثراً وشعراً، وقد قسم واضع الكتاب نثر ابن زاكور إلى نثر علمي ونثر فني حسب الموضوعات التي طرقها في كتاباته ، كما كان شعره على قسمين : الموشح والقصائد هذا من حيث الشكل ، وأما من حيث القيمة الفنية فشعر الشاعر نوعان أيضاً : (الرقيق الجميل السلس العذب) ومنه (البدائي الساذج الشبيه بالأنظام العالية والقريب من أشعار الفقهاء) . ورتب هذا المنتخب حسب الموضوعات الشعرية : المديح والريعيات والزهريات ، والغزل والرتاء والنصائح والاخوانيات .

ويشير الأستاذ كنون إلى أنه « تخيّر » من هذا الشعر ، وربما في القصيدة الواحدة بعض الأبيات وترك بعضها الآخر « حرصاً على ما في بعض الأبيات من سحر وجمال يكونان منمورين بغثائه بعض الأبيات الأخرى وفسولتها » ، وهذا ما جعل اسم الكتاب « المنتخب » وكنا نتمنى لو اطلعنا على الديوان كاملاً كيلا تكون صورة الشاعر ناقصة إذا عرضت على الدرس والبحث ، وهذا رأينا في جمع آثار الشعراء ، فإن من الواجب أن يستقصى كل ما قاله الشاعر فيما إذا أريد وضع ديوانه دون اختيار أو اصطفاء .

وقد قدم ابن زاكور نفسه لديوانه هذا بخطبة مسجوعة افتتحها بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم وتدل الخطبة على إشار ابن زاكور التكلف في نثره على طريقة أهل عصره في القرن الحادي عشر للهجرة .

أما شعر الشاعر فأول ما يلفت النظر فيه أن العلم قد جنى عليه ولعل الفارسي يجد غرابة في هذا القول ، وأقصد بقولي هذا أن الشاعر إذا لجأ إلى الاصطلاحات العلمية والتعبيرات الفقهية ، أو النحوية ، أو الطبيعية ، فإن الشعر يصبح أقرب إلى البحث العلمي وهذا مما يعوق خيال الشاعر عن السمو والتحليق ، أو يكون قيئاً لهذا الخيال يقعد به عن الارتفاع للوصول إلى المعاني الشعرية والصور الفنية ، وقد لجأ ابن زاكور إلى كثير من

القوافي التي تجنبها الشعراء الكبار من قبله وكأنه أراد بذلك أن يدلنا على كثرة محصوله اللغوي ، على حين ان الشاعر إنما يحتاج للألفاظ التي تكفيه للتعبير عما يمتلج في صدره من نوازع وعواطف وأحاسيس ، ولا يحتاج إلى ما في المماجم كلها من ألفاظ قد لا تفيده إلا قليلاً . فالشاعر يأتينا بقصائد من قافية « الزاي » كقوله :

تمززت بذي العزّ من الشيطان ذي الأزّ

ومما ينسب فكري إلى الشخز أو الأز

ولا أرى فائدة في مثل هذا الشعر إلا إذا قصد فيه إلى طرح هذه القوافي أمام القارىء ليحفظها وليعرف بعض معانيها وهو قصد لا يت إلى الفن بصلة ؛ أو يأتينا بقصيدة من قافية « الصاد » يقول فيها :

أما رضاك عمومه وخصوصه فناخة* بنرى المنيب قلوصله

وهذاك جل هداك يلزم كلّ من لزيم الضلال محيصه وحبوصه

وجداك منسجم الغائم عندّ من لزيم اصفراراً من جلالك بوصه

ومما لا شك فيه أن القارىء محتاج إلى المعجم عند قراءة هذه الأبيات ، مها تكن قدرته اللغوية كبيرة وحصيلته في الألفاظ الغريبة وافرة .

ومما يلفت النظر عنه الشاعر أيضاً أنه لا يتوقى العيوب المعروفة التي يتوقاها الشعراء ويهربون منها ولا يلجئون إليها إلا في الضرورة المبرمة ، وفي القصيدة الأولى من باب المديح ، وهي همزية ، أخطاء عروضية يمكن أن نعتبرها من باب « الزحاف » ولكننا في يومنا هذا نعتبرها كسراً لا يجوز لشاعر أن يأتي به أبداً فطلع القصيدة هو :

ديوان جبك بالتوفيق مبتداً

والبيت كما يرى من البحر البسيط ، وقد جاءت في هذه المقطوعة
الآيات التالية .

وبهداك جدى الأفهام موقدة يامن به غضب الجبار منطفىء
رقت مسجالياً بنات الفكر وانتعشت مذ علها من ثدي مجدكم لبأ
ومنذ حليتها بدر مدحكم لم يبق في القلب لارين ولا صدأ
وقد أشرت إلى الكلمات التي ورد فيها الخطأ العروضي ليطلع عليها القارئ .
ومن الغريب أيضاً أن يخطيء هذا الشاعر في القوافي فقد وضع كلمة
« منطفىء » وهي مكسورة الفاء قبل الهمزة ، على حين أن قوافي القصيدة
كلها مفتوحة ما قبل الهمزة كما هو ظاهر .

ولكن ما مرّ كله لا يمنعنا من القول أن ابن زاكور يملك شاعرية
لم تواتها الأيام والظروف وطبيعة العصر لتفتح وتكشف فيظهر ما وراءها
من نبوغ وسمو ، فالشاعر لم يستطع التخلص من مستلزمات عصره المتكلف
الذي انحط فيه الفن الأدبي كله كما لا يمنعنا ما مرّ من تذوق مثل هذه
الآيات الجميلة :

بروحي من أودى بعقلي حبه ولم تسلني عنه كئوس رحيق
يواصلني حتى أفيق من الجوى ويهجرني حتى أغصّ بريقى
غدوت به من وصله وصدوده بدار نيم أو عذاب حريق

• ع •



آراء وأنباء

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٩ -

(١١٥)

مادّة جمع : الجُمعة .

قال : وزعم ثعلب أن أوّل من سمّى يومَ العروبة يومَ الجمعة كعب ابن لؤيّ جدّ الرسول [لا يعني أبا أيه بل أحد الجدود] وذكر السبيلي أن كعب بن لؤي أوّل من جمّع يومَ العروبة . ولم تسمّ العروبة الجمعة إلاّ منذ جاء الإسلام وهو (كعب) أوّل من سمّاه الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويذكّروهم ببعث النبيّ ويأمرهم باتباعه وينشد :

يا ليتني شاهد فحواء دعوتيه إذا قريش تبغيني الحقّ خيدلانا

فما هذا التناقض ؟ البيت يفهم منه أن كعب بن لؤي لم يعيش إلى زمان الرسول وقول المعجم يفيد أنه مرّة أكثر من مئة سنة من جمع كعب للناس وتسميته العروبة الجمعة إلى مجيء الإسلام فكيف يوافق هذا قوله ولم تسمّ العروبة الجمعة إلاّ منذ جاء الإسلام ؟ وبعد هذا أيّد التناقض بنقيض لا حاجة إلى علم الحساب فيه - قال : « وقال ثعلب إنما سمّي يوم الجمعة لأنّ قريشاً كانت تجتمع إلى قصي في دار الندوة » . أفكعب أم قصي ؟ ولولا اعتقاد البعض أن جدلاً كهذا من الأصوليّات (الفيلولوجيا) لقلنا أن

- ٧٢٨ -

لا محلّ له في المعاجم . [الأصلغيات منحوتة من علم أصول اللغات كما سماه جلال الدين السيوطي - والأصلغي هو الفيلولوجي والتسمية العربية أصحّ لأن معنى اليونانية الحرفي « محبة الألفاظ أو الكلمات » [ولفظة تبغي التي في البيت لا يذكرها في بغي .

★ ★ ★

(١١٦)

مادّة جمع :

أورد بيتاً للضبي :

في فتيةٍ كلّها تجمّعتِ البيداء لم يهلّعوا ولم يخيموا
وعلق على إخطاء الشاعر تعليق من يميل إلى غضّ النظر - قال
« ولم يخفّل » [بفتح الفاء والفعل من باب ضرب فقط وهو يقول هذا أيضاً في
ح ف ل - أمن الذين طبعوا الخطأ ؟ ولكن الضرر واحد] بالحركة (ضمّة
الميم في يخمّوا) التي من شأنها أن ترد المحذوف - وهذا لا يوجب القياس
إنّما هو شاذّ » [ولكن على الرّحب والسّعة فنثبته في قاموسنا « !!]
التعبير غير صالح لأنّ الذي أوجب حذف الياء في لم يخيم هو
التقاء الساكنين . ولكن في لم يخيموا لم يجتمع ساكنان فلم يكن داعٍ
إلى الحذف . فليست الضمّة على الميم التي أرجعت الياء المحذوفة - الياء المحذوفة
في الفرد وأما كلمة الشاعر يخيمون فجمع ولا علاقة بين هذه وتلك . تدخل
لم فتجزم بحذف النون . وسائر الكلمة يبقى كما كان فلم يحدث حذف وردّ محذوف .
ثم قال « وهذا لا يوجب القياس » . فماذا يعني بكلمة « هذا » ؟
ما هو الذي لا يوجب القياس ؟ أردّ المحذوف أم عدم ردّه كما فعل الشاعر ؟
على أنّنا نستنتج من قوله إنّما هو شاذّ أنه يعني عدم الردّ لأنّ الشاعر
لم يردّ الياء . ولكن المعجم يجب أن يكون واضحاً من غير استنتاج ممّا يلي .

م (١١)

★ ★ ★

(١١٧)

مادّة ق ف ف .

قال : القفّان معرّب قبان الذي يوزن به ... قال الأصمعي قفّان قبان (مثلثة تحتية) بالياء التي بين الباء والفاء أعربت بإخلاصها فاء وقد يجوز إخلاصها باء لأن سيوييه قد أطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء . هذا مظهر من عبادة الفرد . وعبادة الفرد مثل عبادة الأوثان . الآن سيوييه أطلقها (الباء (P) الأعجمية) إلى فاء أو باء ؟ أم لأن P متوسطة بين صوتيّ B و F قلنا الخيار في تحويلها إلى إحداها . هذا المبدأ هو الذي حمل سيوييه على إطلاقها ولا شك لأنه كان مفكراً . ولكنّ الأمة العربية أطلقتها فقالت مال القبان (بالوحدة) ليس لأنّ سيوييه أطلقها بل لأن المبدأ الذي عمل في سيوييه لم يُلغَ بل عمل في الأمّة كما عمل في سيوييه .

★ ★ ★

(١١٨)

مادّة س ف ر - سفير .

قال : « قال أوس بن حجر :

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمّيّ سيفسير »

وفي مادّة ق ر ف يقول : « قال النابغة :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمّيّ سيفسير »

فلن البيت ؟ أأوس قائله أم النابغة ؟ وما هو الفعل في أوّل البيت ،

فارقت بمعنى رحلت أو قارفت بمعنى أوشكت أن ؟

شارح ديوان الديقاني ، « أحد أفاضل العصر مستميناً بكتب اللغة »
أثبتته في ديوان النابغة ولكنه رواه « وفارقت » لكي يصير البيت بلا معنى
ولم يشرح .

★ ★ ★

(١١٩)

مادّة ركن - يركن - يركن .

قال « ركن يركن وركين يركن » - « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » -
« قرئ بفتح الكاف من ركين (بكسر الكاف) يركن ركوناً » .
هذا صحيح ففعل ركن يأتي من باب نصر وعليم - وهو كاف تفسيراً
وهداية . ولكنّه لم يكتب بل شوّه ما قاله بدخوله في مماحلات المتماحكين
فقال : « وقال بعضهم ركن يركن بفتح الكاف في الماضي والمضارع
وهو نادر » . فمن هو ذلك « البعض » أو من هم الذين قالوا مخالفين المبدأ
الأساسي « المفتوح العين في الماضي الصحيح إن لم تكن عينه أو لامه
حرفاً حلقياً لا تفتح عين مضارعه » .

قال « وهو نادر » - كان عليه أن يقول « وهو خطأ » وهو قول
فاسد . ثم امتدّ إلى قول كراع : « ركين يركن » وهو نادر أيضاً -
كسر العين في الماضي وضمّها في المضارع ليس من أبواب اللغة - فقال
الذين ادّعوا صحّة الرواية إنه من « تداخل اللغتين » وهذا معناه خلط
باب في باب - فالادّعاء والمخالفة والتخليط وقبول الشواذّ لأنه هكذا
رُوي أمور نفرت الطلاب من لغة لا تدانيها لغة أخرى في سلامة
النظام القائم على أحكام العقل ولا في اتساق المنطق . ومتى ساد النظام
طاب الدرس .

(١٢٠)

مادّة نوز - نيروز

قال : « والنَّيروز والنُّوروز أصله بالفارسيّة نيع روز وتفسيره ' جديد يوم » .

وقال المصحح على الهامش « وقد عرضناه على 'مُتّقين' من علماء اللغة الفارسيّة فلم يعرفه » [لم يعرف ' نيع ' . هذا مقبول ولكن من هو ذلك المتّقن الذي لم يعرف ' نيروز '] والغريب أن صاحب اللسان بعد تفسيره نيع روز بجديد يوم (وفاته أن النعت في الفارسيّة يتقدم على المنعوت فلم يقل يوم جديد على الترتيب العربي) لم يذكر معنى النيروز .

قال الفيروزابادي « النيروز أوّل يوم من السنّة مُعرَّب نوروز » .
روز معناها يوم ، وُنو جديد مثل Neu · neuf · néos · new · Novo ، لأن الفارسيّة آريّة في قوامها . ولأنهم كانوا يتدثّون السنة في « نيسان » صار النيروز عندنا زهة أوّل الربيع (طلّعوا إلى النيروز — عملوا نيروزاً) .

★ ★ ★

(١٢١)

مادّة أرق :

كتب طالبٌ في مثالة مطلوبة منه : « وما بين حديث لطيف وموسيقى وطعام وشراب أرقنا في بيت فلان إلى نصف الليل » . فلما سُئِل عن أرقنا قال « هكذا وجدتها للأستاذ فلان في الكتاب الذي جمعه وفسّر ألفاظه لتلاميذه فيه أرق أو مسهر » . وصدق في قوله لأن ذلك الأستاذ نقل

عن محيط المحيط : أرق سهر بالليل (تمييزاً عن سهر بالنهار) ومحيط المحيط نقل عن القاموس والفيروزابادي يقول الأرق السهر بالليل . ولسان العرب يقول الأرق السهر . وإذا أنصفنا فملينا أن نصحح ونقول إن الأستاذ أخذ عن اللسان ، ولا يفهم لماذا قال اللسان الأرق السهر وبعد قليل روى عن الأزهري « ذهب النوم بالليل [هنا بالليل كلام صحيح لأنه لا يُقال أرق لمن لم يستطع النوم في النهار] وروى أيضاً عن ابن سيده « ذهب النوم لعلّة » .

★ ★ ★

(١٢٢)

مادة فرش : فرّاش .

لا يذكر كلمة فرّاش - وذلك على ما يجب أن يرجح لأنها لم ترد في ما نقل عنه . ولكنها وردت في كتب الأدب . جاء في الأغاني « وخرج الأخطل فلقي فرّاشاً لعبد الملك » . وورد أيضاً : قال ابن عباس تغدينا يوماً عند الوليد بن عتبة فأقبل الفرّاش بصحفة الخ ...

★ ★ ★

(١٢٣)

عرف أبو البقاء التفسير بقوله : هو العبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . أما ابن منظور ففسّر « انفّرَش » بقوله شيء كالشاذكونه . فأي الكلمتين أكثر وضوحاً لمن يجهلها ؟ قد يحزر المفرش حزرًا وأما الشاذكونه وما أدراك ما الشاذكونه ، فلنبحث عن تفسيرها في اللسان .

في شذن ، سكن ، ذكن ، شوذ - غير موجودة ، على أن الطالب العربي يجدها في المعجم الفارسي شادگونه (بالبدال المهملة والكاف الفارسية) ومضناها اللذثار أو اللحف أو (في اللغة الدارجة) المضرب أو الجودلة أو الطراحة .

★ ★ ★

(١٢٤)

مادة غمس - الغموس .

قال : « اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي اليمين الكاذبة الفاجرة ، هي أن يحلف الرجل وهو يعلم أنه كاذب » والفيروزابادي قال القول ذاته - وكل ما قالاه مغاير للحقيقة - أما الزمخشري فإنه أصاب رغم الاختصار . قال اليمين الغموس لشدها . وقال المتنبي :
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم خاب سائلي القسّم
فهل مدحهم بأنهم يكذبون في اليمين ؟ والذي عرض نفسه لنقمة المنصور برفضه تسليم من أجاره وقال : « إني حلفت يمينا غموساً فاحتمل ليميني يا أمير المؤمنين » هل تعمّد الكذب لما أقم ؟ فاليمين الغموس هي اليمين المؤكّدة المغلظة التي تغمس صاحبها في الإثم إن حث فيها .

★ ★ ★

(١٢٥)

مادة درع .

قال « الدرع لبوس الحديد تذكر وتؤنث - حكى الاحياني درع سابغة ودرع سابغ ، وقال أبو الأخرز مقلّصاً بالدرع ذي التفضن (أكد

قوله ' انها تذكّر) وتصنير درع دُرّيع بغير هاء على غير قياس لأن
قياسه' بالماء وهو أحد ما شدّ من هذا الضرب .
ولكن لماذا على غير قياس ؟ إذا كان درع مذكراً كما قال فتصنيره'
دُرّيع على القياس .

★ ★ ★

(١٢٦)

مادّة وسع .

تقرأ المادّة كلها - وهي تملأ صفحتين فلا تعثر على جمع للصفات المشتقة
من وسع : فلا جمع واسع ولا جمع وسيع ، وضبط الجمع في المنزلة الأولى
مثل ضبط التفسير .

★ ★ ★

(١٢٧)

قال : « الفلّص قطع الفلصمة ، والفلصمة رأس الحلقوم » ومع هذا
وضع لفظه غلصمة في مادّة غلّيم أي هاجت شهوته' الجنسية أي الانساليه .
وسبب هذا الخيود عن المعقول أنّه تصوّر أن الحرف الزائد في
الرباعي إنما هو الحرف الثالث ، مع أن الزائد قد يكون الأول مثل ترمس
(من رَمَسَ) أو الثاني مثل جرثم (من جَثَمَ) أو الثالث مثل قعور
(من قَمَر) أو الرابع مثل برهن (من بره) . وإذا كان الأصل والزيادة غير
محققين فالأفضل أن تُورد الكلمة على ترتيب أحرفها كما فعل غيره' .

★ ★ ★

(١٢٨)

نظرة إلى اختلاط الضائر وعدم الضبط في التعبير :
في وثار قال : وفي الحديث أنه نهى عن ميثره الأرجوان وهي
وطاء محشو يترك على رحل البعير تحت الراكب والميثة مفعلة من الوثارة
والأرجوان صبغ أحمر يتخذ كالفراس الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها
الراكب تحته على الریحال فوق الجمال [على كم من الجمال يركب ؟] .

* * *

(١٢٩)

مادة ت ق ن .

قال : « أتقن الشيء أحكمه ، وإتقانه إحكمه ، والاتقان الإحكام
للأشياء » . [هذا تكرير لا فائدة منه] ورجل يقن ويقن متقن للأشياء
- حاذق - وتيقن اسم رجل كان جيد الرمي يضرب به المثل . وابن يقن
(كعب بن يقن) اسم رجل يحسن الرماية - أرمى من ابن تقن - انتهى
تفسير الألفاظ ، وما يأتي تعليلاً « أصلغي » : قال : « قال أبو منصور
(الأزهري في تهذيب اللغة) : الأصل في التيقن ابن يقن هذا ثم قيل
لكل حاذق بالأشياء يقن ومنه يُقال أتقن فلان عمله إذا أحكمه وأنشد
شمر لسليمان بن ربيعة بن دباب (وفي نسخة ابن ريثان) .

أهلكن طمأ وبمدم غذي بهم وذا جُدون

وأهل جاش وأهل مآرب وحي لقن والتشقون

واليسر كالمسر والغنى كالمدم والحياة كالنون

(قال المصحح : « كذا في الأصل وحرر الوزن ، وأما نحن فلا نفهمون !) .

فجمعه على تقون لأنه أراد تقناً ومن انتسب إليه والشقون من بني
 يقن بن عاد منهم كعب بن يقن وبه ضرب المثل فقيل أرمى من ابن تقن .
 انتهى التعليل ؟ هذا تفضيح : جعل الأزهري اسم الرجل أصلاً [من غير
 استناد بل لإمكان التصور] وجملة الصفة والفعل مخرجين منه . أي أن
 عاد سمى ابنه تقناً ويقن سمى ابنه كعباً فبرع في الرماية فقالوا أرمى
 من ابن يقن ثم توسعوا فقالوا لكل حاذق تقناً ثم أخرجوا فعل أتقن
 [من باب دحرج أي بالزيادة المطلقة لا بالاشتقاق النظامي مثل أكرم لأنه
 لا ثلاثي منه] بمعنى عمله بحذق كحذق ابن يقن في الرماية .

خيال أبي منصور رسم صورة بديعة كبداعة الأسطورة التي اخترعها
 الفرنسي الذي أراد أن يبين علّة تسمية الجبل القريب من مكة جبل
 الفرخ (جبل قزح بالزدلفة - قرأ الفرنسي اسمه من غير نقط فأخذ
 يتردد بين فرح وفرج وفرج وفرخ وفرج وفرج فرج الفرخ) ولكن
 جمال التصور لا يثبت الصحة ، والأبيات التي استشهد بها أبو منصور ونقلها
 ابن منظور « لكسار نظم » ليس من أهل الثقة شهادة على من رضي بها .
 في العربية واليونانية ألفاظ لم يأخذها اليونان عن العرب ولا العرب
 أخذوها عن اليونان - هي ألفاظ (على ما رجح) ورثتها العربية من الأم
 الشامية ودخلت في أصول لغة الإغريق وفق امتزاجهم بالمهاجرين الفينيقيين
 واليونانية في طور التكوّن : مثل آفة ، أفعى وأوفس ؛ وقرن وخرنوش ،
 وجامع وغامياً الخ - ومن ذلك تخني (تكني) وتقن - فاللفظة العربية
 مثل مدّ وأب وبنو (ابن) وأخو وأخت وأمة وبيت وذن وديتان وأدّى
 وشمت وأفيل الخ موروثة ، والذي يفضل عدم التنقيب الدقيق يقول ان
 تقن مأخوذة عن اليونانية ، وعلاقة اليونان بالعرب قبل الإسلام كانت قوية

فبلاد الشام كانت لغتها الغالبة اليونانية وتجار اليونان كانوا يرتادون مرافئ البحر الأحمر وكانت لهم مستعمرة عامرة في سقطرة من أيام المكدوني، وكان اليمينيون يقولون لهفتاح إقليد وهو في اليونانية كليدي وقس عليه (هذا بحث طويل ليس هنا موضعه) ، وورود لفظة أتقن في الآية « صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » لا يعني شيئاً مما تقدم .

★ ★ ★

(١٣٠)

مادة ق ر ش .

قال : « قال عدي بن الرقاع » .

وإذا نَشَرْتَ لَهُ الثَّاءَ وَجَدْتَهُ وَرث المكارم طُرْفَهَا وتِلَادَهَا (طُرْف جمع طريف) أراد طُرْفَهَا بضم الراء فأسكن الراء تخفيفاً وإقامة للوزن - أخطأ في قوله تخفيفاً - فالشاعر سَكَّن الراء محافظة على الوزن فقط - وأي ثِقَلٍ في قولنا وأنسى شئت يا طُرْقِي فكوني ؟ وفي قولنا ليس من يقطع طرُقاً بطلاً أتخفيف أم إقامة وزن ؟

★ ★ ★

(١٣١)

مادة ر و ح .

في تفسيره الروح قال : الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه ... وهو بالفارسية چان (جيم بثلاث نقط) .

هذه حذقة إذ لا مسوّغ للتفسير بمرادف فارسي - وعلاوة على هذا
أخطأ - فالكلمة الفارسية مغلوطة فيها وقد يكون الغلط من المصنّف أو
من الناشر - روح بالفارسية جان (بنقطة واحدة) ولفظها دَجَان - أما
جان بثلاث نقط فلفظها تُشان ولم أرَ في القاموس الفارسي بهذا الحرف إلا
جانّه ومعناه الفكّ الأسفل .

* * *

(١٣٢)

مادّة أخ و .

قال : « وجائز أن يكون أحد الأنبياء أخاهم سنه من قومهم فيكون
أفهم لهم بأن يأخذوه عن رجلٍ منهم » هذه العبارة للزجاج نقلها
واضع المعجم ولم يعترض على استعماله التفضيل أفهم من الرباعي أو من
المفمول والباء في بأن ؟

* * *

(١٣٣)

مادّة أخ و .

قال : والأخت أنثى الأخ ، صيغة على غير بناء المذكر والتاء بدل
من الواو وزنها (وزن أخت لا التاء) فعلمة فنقلوها إلى فَعْل وأُحَقَّتْهَا
التاء المبدلة من لامها بوزن فَعْل فقالوا أخت [لا يذكر موجياً ولا مسوّغاً
فليتأمل القارئ في قوله] وليست التاء علامة التأنيث كما ظن من لا خبرة
له بهذا الشأن قال الخليل تأنيث الأخ أخت وتأؤها هاء . انتهى

التعليل الذي لا أساس له ولا معنى فاللفظة موروثة مثل أخو وأبو وبنو والموروث لا تعليل ولا جدال في أصله إلا عند الذين وضعوه من ألوف السنين ونحن لم نقف بعد على أحوال السلف القديم .

★ ★ ★

(١٣٤)

مادة خ ر ش - ب ص ر - أ ب س .

يروى بيتاً لابن مرداس على ثلاث صور :

إن تك جلمود بصر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع
 إن تك جلمود بصر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع
 إن تك جلمود صخر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع

(١) بصر بفتح الباء وبكسرهما (بمعنى واحد) وصخر . ولكن

ما الذي قاله الشاعر ؟

(٢) في أبس حيث يقول « صخر » قال : ورواها ابن بري « بصر »

فلماذا لم يذكر الراوي في خرش وبصر ؟

(٣) في بصر قال أويسه بفتح الواو بلا همزة - فحول الفعل من

أبس إلى وبس وفعل وبس غير وارد في اللسان -

(٤) في خ ر ش قال أحميه بضم الهمزة أي أن الماضي أحمي (رباعي) .

وفي بصر وأبس قال أحميه بفتح الهمزة أي أن الماضي حمي (ثلاثي) .

وهو القائل في ح م ي أحمي الحديد في النار ولا تقول حميتها .

وكم دعوت إلى الله أن يظط المنضد (عند إعادة الطبع) في تنضيد

الظط فيعود تنضيدته صحيحاً .

★ ★ ★

(١٣٥)

مادة ث غ و .

نقل مثلاً ورد على صورة واحدة عند الجميع أي حيث وثبتت القرارة الأولى وثب القرار كلُّه . قال « مالهُ ثاغية ولا راغية الثاغية الشاة والراغية الناقة » وهذا مثل قولنا لامعهُ دينار ولا مئة دينار وقول أحدهم « عندنا من كرم المولى ما يضمن لنا رفاهية العيش ويسدُّ الرمق » في النفي يُقدِّمُ الكثير وفي الإيجاب يقدم القليل - لاراغية ولا ثاغية .

★ ★ ★

(١٣٦)

مادة ص ب ع .

قال : « الأصبَعُ واحدة الأصابع تذكر وتؤنث وفيه لغات : إصبَعُ إصبَعُ إصبَعُ إصبَعُ أصبَعُ أصبَعُ أصبَعُ أصبَعُ أصبوع [كان يكفيه القول حرَّ كما تشاء] الأئمة » - أطال الشرح في اللغات العشر وحرَّ كما كتبها وفسرها بأئمة ولم يحرك أئمة وأخطأ في تفسيره فالأئمة ليست الأصبع إنما هي المفصل المتطرف الذي فيه الظفر وهو أيضاً قال هذا في ن م ل .

توفيق داود قريانه

(سنپولو)

يتبع :



نسخة ثالثة من كتاب
(ما بينته العرب على فعال)
لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق هذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته سنة ١٩٦٤ و كنت قد قمت بتحقيقه عن نسختين مخطوطتين له وقفت عليها ، هما نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخة خزانة (أولو جامع) في بروسه بتركية . وقد وصفت النسختين في المقدمة التي قدمت بها للكتاب . وفي رحلتي إلى استانبول في صيف سنة ١٩٦٥ اطلعت على نسخة مخطوطة ثالثة للكتاب ما كنت رأيتها قبل طبعه . وقد دلتني عليها الأخ السيد رمضان ششن من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في استانبول . فله الشكر والفضل .

هذه النسخة محفوظة في خزانة الشهيد علي باشا ضمن مجموعة برقم ٢٧١٩ ، في الأوراق [١٠٨ - ١٢٤ ب] منها . وهي نسخة قيمة مقروءة على المؤلف ، ومقابلة على أصله المكتوب بخطه ، بسماع عبد المؤمن ابن خلف بن أبي الحسن الدمياطي . وقد صحح المؤلف ذلك وكتب بخطه في آخر السماع . وتساوي هذه النسخة بذلك النسخة الظاهرية في قيمتها وجلالة قدرها . ولكنها لا تختلف عنها في شيء يذكر . وقد ثبت لي ذلك بمقابلة الكتاب المطبوع بها .

الدكتور عزيزة حسن



وفاة عالم جليل

نمى مجمع اللغة العربية بالقاهرة المغفور له الأستاذ الكبير حامد عبد القادر وهو أحد أعضائه العاملين الذين شاركوا بنصيب وافر في أعماله وأبحاثه . والفقيه ركن من أركان اللغة العربية وعلومها المتوارثة ، كان عالماً باللغات السامية وعلاقتها بالعربية بالإضافة إلى تمكنه في علوم التربية والتعليم . خلف مؤلفات عديدة في اللغة والتربية والأدب والتاريخ ، وكانت حياته طرازاً رفيعاً لجهد الأستاذ المرابي والباحث المجتهد . حصنه الله بنفس زكية أوتيت الدماعة والتواضع اللذين يتحلى بهما العلماء الأصلاء .

وإن مجمع اللغة العربية بدمشق ليعرب بهذه الكلمة عن عميق حزنه لهذا المصاب الأليم ويقدم إلى مجمع القاهرة وإلى زملائه وعائلة الفقيه أصدق التعازي ويسأل المولى تعالى أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن خدماته للغة وعرويته أوفى الجزاء .



شكر

ورد إلى رئاسة مجمع اللغة العربية عدد كبير من البرقيات والرسائل من الجامعات العلمية واللغوية والأعضاء المجمعين في مختلف الأقطار الشقيقة وغيرها وهي تتضمن التعزية بالفقيد الكبير المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس المجمع، والمجمع الذي كان الفقيد عضواً من أبرز أعضائه حقبة طويلة من الزمن ثم نائباً لرئيسه، يشكر السادة الذين تفضلوا بمواساتنا وتعزيتنا بالفقيد الكبير، سائلين الله تعالى أن يعوض الأمة العربية عنه خير العوض.



تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)

الصواب	الخطأ	س	ص
تنظر	ينظر	٩	٢٥٠
الكتاني	الكناني	١٤	٢٥٠
احبت	احيت	١٤	٢٥١
النفس	الشمس	٨	٢٥٢
ليلى	ليلي	٢١	٢٥٥



فهرس المجلد الأربمين الجزء الأول

	صفحة
• قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث	٣
• حياة الالفاظ	٢١
• الأستاذ شفيع جبري	• • • • •
• الأستاذ عبد الله كنوت	• • • • • (٥) ٢٦
• الدكتور عدنان الخطيب	• • • • • (١٢) ٤٠
• الدكتور علي جواد الطاهر	• • • • • (١) ٥٨
• الدكتور حسني سبيع	• • • • • (١١) ٧٦
• الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي	• • • • • ٩٩
• الدكتور جميل صليبا	• • • • • (٢٤) ١١٢
• الأستاذ عبد القادر زمامة	• • • • • (٢) ١٢٩
• الدكتور عبد الكرم الأشتر	• • • • • ١٣٥
• الدكتور فيصل دبدوب	• • • • • (١) ١٤٣
• الأستاذ عبد العزيز الميمني	• • • • • (٣) ١٥٠
• الأستاذ منير المهادي	• • • • • (٣) ١٥٦

التعريف والنقد

• الأستاذ عارف النكدي	{	• • • • • ١٦٣
		• • • • • ١٦٧
• الأستاذ محمد بهجة البيطار	{	• • • • • ١٦٨
		• • • • • ١٧٠
• الأستاذ نظير زيتون	• • • • •	١٧٢
• الأستاذ أحمد الجندي	• • • • •	١٨٢
• الأستاذ عمر رضا كحالة	{	• • • • • (الجزء الأول) ١٨٤
		• • • • • ١٨٧
• الأستاذ عز الدين التنوخي	• • • • •	١٨٩

آراء وأبناء

• أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥/١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م	• • • • •	١٩٠
• أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون	• • • • •	١٩٣
• الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	• • • • •	١٩٧
• الأستاذ توفيق داود قربان	• • • • • (٦)	٢٠٣
• الأستاذ جعفر الحسني	• • • • • (١٩٦٥-١٩٦٤)	٢٠٩
• إهداء كتب ، أغلاط مطبعية وتصويبات	• • • • •	٢١٥

م (١٢)

الجزء الثاني

	صفحة
الأستاذ شفيق جبري	٢١٧ تأويلات
الدكتور جميل صليبا	٢٢٢ الاصطلاحات الفلسفية (٢٥)
الأستاذ عبد الله كنون	٢٤٥ أذب الفقهاء (٦)
الدكتور عدنان الخطيب	٢٥٩ نظرات في المعجم الوسيط (١٣)
الدكتور علي جواد الطاهر	٢٧٥ محمد بن سلام (٢)
الأستاذ عبد العزيز الميمني	٢٩٠ طرز على معجم الأدباء (٤)
الدكتور عمر موسى باشا	٣٠٢ الشهاب الشاغوري
الأستاذ عبد القادر زمامة	٣١٣ أبو عبد الله المقرئ
الأستاذ عبد المنعم مختار	٣٢٥ أضواء على ماهية معركة ذات الصواري
الدكتور فيصل دبدوب	٣٣٧ مدرسة سالرنو الطبية (٢)

التعريف والنقد

الأستاذ محمد بهجة البيطار	٣٥٢ من كنوز السنة ، رسائل أربع
الأستاذ سامي الكيالي	٣٥٩ مع صيدح في كتابه عن أدب المهجر
الأستاذ أحمد الجندي	٣٦٨ العراق في الشعر العربي والمهجري

آراء وأنباء

الأستاذ محمد بهجة البيطار	٣٧١ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر
الأستاذ عز الدين التوخني	٣٧٤ ظهور نسخة ثانية من كتاب الإتياع لأبي الطيب
الأستاذ عارف التكندي	٣٧٧ آراء واستفتاء
الأستاذ محمد عبد النبي حسن	٣٨٢ تحقيق حول لفظي : المرادف والمشادف
الأستاذ توفيق داود قربان	٣٨٨ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٧)
	٣٩٢ تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)

الجزء الثالث

صفحة

- • الأستاذ عز الدين التنوخي • • ٣٩٣ دعوى الصعوبة في تعلّم العربية
- • الأستاذ شفيق جبري • • ٤٠٥ الأسلوب هو الرجل
- • الدكتور جميل صليبا • • ٤١٢ الاصطلاحات الفلسفية (٢٦)
- • الأستاذ عبد الله كنون • • ٤٢٥ أدب النقباء (٧)
- • الدكتور عدنان الخطيب • • ٤٣٣ نظرات في المعجم الوسيط (١٤)
- • الدكتور علي جواد الطاهر • • ٤٤٨ أبو يعقوب الخريزي (١)
- • الأستاذ عبد العزيز الميحي • • ٤٧٠ طرر على معجم الأدباء (٥)
- • الأستاذ أحمد الجندي • • ٤٨٧ ابن الرومي (شاعر لم ينصفه التاريخ)
- • الدكتور فيصل دبدوب • • ٤٩٥ مدرسة سارنو الطيبة (٣)

التعريف والنقد

- • الأستاذ محمد بهجة البيطار { ٥١٠ كتاب المتمد في أصول الفقه
- • { ٥١٧ تفسير القرآن الكريم
- • { ٥٢١ [النسائيات] من الأحاديث النبوية الشريفة
- • الدكتور عدنان الخطيب • • ٥٢٤ التاريخ الحربي الإسلامي (١)
- • الأستاذ أحمد الجندي { ٥٣١ الشذرات تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
- • { ٥٣٣ فن الترجمة في الأدب العربي
- • { ٥٣٥ صور قروية
- • { ٥٣٦ البيت في حياة العرب

آراء وأنباء

- • ٥٣٨ وفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي (نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق)
- • ٥٤٢ وفاة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي
- • ٥٤٤ القائف والأضخومة • • الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
- • ٥٤٦ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٨) الأستاذ توفيق داود قربان
- • ٥٦٨ تصحيح تاريخ وفاة النضر بن شميل

الجزء الرابع

صفحة

الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	الموسوعة العربية الميسرة	٥٦٩
الأستاذ شفيق جبري	لسان عصر لفة	٥٧٩
الأستاذ عبد الله كنون	أدب الفقهاء (أ)	٥٨٦
الدكتور عدنان الخطيب	نظرات في المعجم الوسيط (١٥)	٦٠٠
الدكتور علي جواد الطاهر	أبو يعقوب الخريزي (٢)	٦٠٧
الأستاذ عبد العزيز الميني	طرر على معجم الأدياء (٦)	٦٣١
الدكتور عبد المنعم مختار	الخراج والنظام الضرائبي في مصر الأموية	٦٤٢
السيدة أسماء الحمصي	للمدرسة الظاهرية (١)	٦٦١

التعريف والنقد

الدكتور عدنان الخطيب	التاريخ الحربي الإسلامي (٢)	٦٩١
الأستاذ جعفر الحسيني	كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب	٧١١
الأستاذ محمد بهجة البيطار	الشهداء المحمديون العرب ، في الوثائق السريانية	٧١٤
الأستاذ عمر رضا كحالة	أعلام العرب في العلوم والفنون	٧١٥
	تاريخ المغرب	٧١٧
الأستاذ أحمد الجندي	رحلة الشتاء والصيف	٧٢٠
	ديوان الناصري (الجزء الثاني)	٧٢٢
	المنتخب من شعر ابن زاكور	٧٢٤

آراء وأقبااء

الأستاذ توفيق داود قربان	أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٩)	٧٢٨
الدكتور عزة حسن	نسخة ثالثة من كتاب (ما بنته العرب على فمال)	٧٤٢
	وفاة عالم جليل (الأستاذ حامد عبد القادر)	٧٤٣
	شكر - تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)	٧٤٤